مقرر

القضية الفلسطينية

الفرقة الرابعة قسم اللغة العبرية

أستاذ المقرر

د/ هبة أحمد محمد عبدالله

قسم التاريخ – كلية الآداب بقنا

الفهرس

أولا : الموضوعات	الصفحة
الفصل الأول تطورات القضية الفلسطينية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨م	٤-٣٠
أولًا: نبذة تاريخية عن فلسطين	٤
ثانيًا: تطورات القضية الفلسطينية حتى قيام الحرب العالمية الأولى	١٠
ثالثًا: الحركة الصهيونية وقضية فلسطين	١٢
رابعًا: المؤتمر الصهيوني الأول (مؤتمر بازل) ١٨٩٧ م	١٨
خامسا: قضية فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤- ١٩١٨م	٢١
سادسا: تصريح بلفور (نوفمبر ١٩١٧م)	٢٦
الفصل الثاني: فلسطين تحت الاحتلال البريطاني١٩١٨-١٩٤٨	٣٢-٥٦
أولا: سياسة الانتداب البريطاني في فلسطين	٣٢
ثانيًا: (الكتاب الأبيض الأول) في ١٩٢٢م	٣٦
ثالثًا صك الانتداب الفلسطيني ٢٤ يونيو ١٩٢٢م	٣٧
رابعا: الكتاب الأبيض الثاني ١٩٣٠م	٤٦
خامسا: تشكيل اللجنة العربية العليا في ١٩٣٥م	٥٠
سادسا: الكتاب الأبيض الثالث ١٩٣٩م	٥٢
الفصل الثالث: الحركة الوطنية الفلسطينية	٥٧-٧٢
أولًا: الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨-١٩٢٩	٥٨

ثانيًا: الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٢٩- ١٩٣٩	٦٣
ثالثًا: الثورة الفلسطينية الكبرى ١٦٣٦-١٩٣٩م	٦٧
الفصل الرابع: الولايات المتحدة والقضية الفلسطينية خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ – ١٩٤٥	٧٤-١٠٥
أولا: الاتجاه الصهيوني نحو الولايات المتحدة الأميركية	٧٥
ثانيا: النشاط اليهودي والصهيوني في الولايات المتحدة الأميركية	٧٧
ثالثا: مؤتمر بلتيمور ١٩٤٢م	٨٠
رابعا: المؤتمر اليهودي الأميركي	٨٤
خامسا: الأساليب الصهيونية لكسب الرأي العام الأميركي	٨٥
سادسا: الرئيس روزفلت والقضية الفلسطينية	٨٩
سابعا: مشروع لتصفية قضية فلسطين	٩٢
ثامنا: الانتخابات الأميركية وأثرها على القضية	٩٤
تاسعا: وزارة الخارجية الأميركية والقضية	٩٩
عاشرا: الحزبان الجموري والديمقراطي والقضية	١٠٢
حادي عشر: اللجنة الإنجليزية الأمريكية ١٩٤٦ م	١٠٣
الفصل الخامس حرب فلسطين ١٩٤٨م	١٠٧-١٢٤
الفصل السادس: الجامعة العربية وقضية فلسطين	١٢٦-١٤٠
الخرائط	١٤٢-١٤٧
قائمة المراجع	١٤٩-١٥٠

الفصل الأول

تطورات القضية الفلسطينية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ١٩١٨م

جغرافية فلسطين

حدودها :

فلسطين بلد عربية يحدها البحر المتوسط غرباً ، وجمهورية لبنان شمالاً ، وجمهورية سورية ونهر الأردن شرقاً ، وشبه جزيرة سيناء المصرية جنوباً ، وقد أطلق عليها اسم « سورية الجنوبية » لأنها تؤلف جغرافيًا الجزء الجنوبي من سورية، وفلسطين هي قلب البلاد العربية فلها موقع استراتيجي مهم، إذ تعد صلة الوصل بين قاراتي اسيا وافريقيا ونقطه التقاء جناحي العالم الاسلامي وهي الجسر الذي يصل آسيا العربية بإفريقيا العربية والطريق الذي يصل جزيرة العرب بالبحر المتوسط ، وأطلق على فلسطين قديماً اسم « أرض كنعان » لأنها كانت وطن العرب الكنعانيين منذ فجر التاريخ ، أما اسم « فلسطين » فقد أطلق عليها نسبة إلى إحدى القبائل الكريتية التي نزلت شواطئها ، بين يافا وغزة ، قبل الميلاد بنحو ألف ومائتي عام .

مساحتها :

تبلغ مساحة أراضي فلسطين ٢٦,٣٢٠ كيلومتر مربع وهي تعادل مساحة بلجيكا ، أما مساحة بحيرتى الحولة وطبرية ونصف البحر الميت فتبلغ ٧٠٤ كيلومترات مربعة ، وعلى هذا فمساحة فلسطين برا وماءًا تبلغ ٢٧,٠٢٤ كيلو متر مربع.

أولا: نبذة تاريخية عن فلسطين:

كانت فلسطين بسبب موقعها الجغرافي ومكانتها الدينية والتاريخية تابعة في الشطر الأكبر من تاريخها لإحدى الممالك المجاورة القوية ، وعلى مدى عدة آلاف

من السنين ونتيجة لذلك الوضع المتميز فقد جردت عليها حملات عديدة ودارت في رحابها رحى معارك كثيرة وتعاقبت عليها مدنيات مختلفة وشهدت فتوحات متتالية؛ لكن فلسطين ظلت منذ فتحها على أيدي العرب عام ٦٣٨ ميلادية عربية الصيغة ، ولم تكن الفترة التي ساد فيها حكم الصليبين في القرنين الحادي عشر والثاني عشر لتؤثر على صبغة البلاد تأثيرا بارزا وعادت تلك الصبغة إلى قوتها بعد زوال ذلك الحكم ، واحتفظت فلسطين خلال الحكم العثماني بصيغتها العربية ، وكانت تدار معظم فترات ذلك الحكم بواسطة أمرائها وحكامها الوطنيين العرب.

العهد العثماني:

بعدما فتح السلطان سليم سورية أقبل على فلسطين والتقى قرب اللجون بجيش سلطان المماليك طومان باي ، فهزمه وكر على المدن الفلسطينية فاستولى عليها ثم زحف إلى مصر ففتحها وعاد إلى الآستانة ، وهكذا دخلت فلسطين في حوزة الدولة العثمانية ، ومن أهم مآثرها ذلك السور الذي بناه سليمان القانوني حول القدس عام (١٥٤٢ م) .

ومن أهم الأحداث السياسية في العهد العثماني ظهور شخصين في فلسطين لعبا على مسرحها دوراً مهما أولهما : ظاهر العمر ، شيخ صفد الذي ضم إليه طبرية وخضعت له نابلس والناصرة ، وعكا عام (١٧٥٠ م) فحصنها وجعلها مقره مع استمرار أدائه التزاماته المالية إلى الدولة العثمانية، وحدث أن اشتبكت الدولة العثمانية وروسيا في حرب في عهد كاترينا فانتهز على بك ، أحد المماليك بمصر ، الفرصة وأرسل نائباً عنه اسمه أبو الذهب لاحتلال سورية وإعادتها إلى حكم المماليك ، فحالفه ظاهر العمر الذي استعان بدوره بالأسطول الروسي على احتلال صيدا وصور عام (١٧٧٢ م) ولكن الدولة العثمانية لم تلبث أن أرسلت إلى والي الشام

نجدات بحرية وعسكرية استردت صيدا وصور وحاصرت ظاهر العمر في عكا حصاراً انتهى بالاستيلاء عليها وبقتل ظاهر العمر

وثانيهما : أحمد الجزار الذي كان مملوكاً لعلى بك وجلاداً استحق لقب الجزار ، فقد هرب من مصر إلى سورية والتحق بالجيش السوري الذي استرد صيدا من ظاهر العمر ، فعين حاكماً لصيدا بسبب بلائه الحسن في قتال ظاهر العمر ، ثم خلفه على عكا فأجاد تحصينها وأنشأ أسطولًا صغيراً وبنى جامعه المشهور باسمه فيها ، ثم عينه السلطان العثماني والياً على دمشق عام (١٨٧٠ م) فشمل نفوذه سورية كلها ولمع اسمه في رد نابليون عن عكا عام (١٧٩٩ م) .

نابليون في فلسطين :

بعد أن احتل نابليون مصر ، صار لا بد له في طريقه إلى الهند من احتلال فلسطين ، فاحتل العريش فغزة فالرملة ، ثم حاصر يافا التي كانت تدافع عنها حامية من جنود الجزار ، وبعد تضييق ومجاعة طلبت الحامية تأمينها على حياتها لقاء تسليمها فأجيبت إلى طلبها ، واستأمن لنابليون أربعة آلاف جندي ، ولكنه أمر بقتلهم جميعاً في ١٠ من (مارس) ١٧٩٩ م ، وراح يحاصر عكا التي كان الجزار يدافع عنها برا ويساعده في الدفاع عنها بحراً الأسطول البريطاني الذي كان يقوده السير سدني سميث ، فاشتات المدافعون لعلمهم بمصير حامية يافا على الخصوص، وفي أثناء الحصار أرسل نابليون فريقاً من جيشه فاحتل الناصرة وصفد ، أما عكا فقد استمر حصارها نحو شهرين اقتحم جنود نابليون في نهايتها خنادق المدينة وأوشكوا أن يحتلوها لولا استبسال المحاصرين الدفاع ، حتى اضطروه إلى فك الحصار عنها والرجوع إلى مصر خائباً يفتك الطاعون بجنده .

إبراهيم باشا في فلسطين :

بعدما أباد محمد على المماليك في مصر طمع في توسيع ملكه ، فجهز إلى سورية جيشاً بقيادة ابنه إبراهيم باشا، ففتح العريش وغزة والرملة ، ونزل إبراهيم باشا يافا بحراً ، ثم فتحت نابلس والقدس وحوصرت عكا عام (١٨٣١ م) التي فتحت بعد احتلال دمشق وهزيمة الجيش العثماني في حمص ، وتوالت فتوحاته حتى ما وراء قونية إلى أن حملته إنجلترا وروسيا والنمسا على الارتداد عام (١٨٤٠م) خشية قيام إمبراطورية عربية .

حكم إبراهيم باشا في فلسطين عشر سنوات مملوءة بالشدة والبطش وفرض الضرائب الجديدة والتجنيد الإلزامي مما أدى إلى ثورات في نابلس والخليل امتدت إلى لبنان وشرق الأردن فاشتغل في قمعها حتى استعادت الدولة العثمانية فلسطين ، ولكن البلاد لم تتقدم في عهدها، وكان لها نصيبها من تلك الفوضى التي ضربت أطنابها في الدولة العثمانية كلها ، وظل الحكم مطلقاً تقريباً إلى أن أعلن الدستور في عام ١٩٠٨ واشتدت المطالبة بالإصلاح ووضعت الحكومة قانون الولايات وبه منحت الولايات سلطة إنشاء حكومات محلية ، ومهما يكن الأمر في تطبيق الدستور والقوانين الإصلاحية فإن فلسطين ظلت في العهد العثماني محافظة على طابعها العربي المحض، وكانت تدار معظم فترات ذلك الحكم بواسطة أمرائها وحكامها الوطنيين العرب.

كانت فلسطين خلال الحكم العثماني مقسمة إلى عدة وحدات ، فقبيل الحرب العالمية الأولى كانت فلسطين من الناحية الادارية مقسمة إلى قسمين القسم الأول ويشمل المناطق الشمالية ويتبع ولاية بيروت، والقسم الثاني الذي يشمل المناطق الجنوبية ويتألف من لواء القدس المستقل الذي يتبع الأستانة مباشرة، ولم يكن هناك

قبل الحرب لعالمية الأولى وحدة سياسية وجغرافية تسمى « فلسطين » فكلمة فلسطين كمعنى سياسي وإداري وجغرافي هي نتيجة من نتائج الحرب العالمية الأولى.

ونتيجة لتلك الأوضاع السياسية والجغرافية فقد تأثرت فلسطين خلال القرون السابقة بتلك المؤثرات الفكرية التي تأثرت بها منطقة الشام سلبًا وايجابًا ، وكانت هناك عوامل عدة ساهمت في تكوين تلك اليقظة الفكرية التي سادت أنحاء الشام حتى الحرب العالمية الأولى وتمثلت فيها بذور الفكرة العربية :

اولا :

تلك اليقظة التي اجتاحت أوروبا خاصة بعد قيام الثورة الفرنسية وادت إلى استقلال عدد من البلدان الأوروبية وإلى تكوين الوحدة الايطالية والألمانية مما كان له صداه في البلدان العربية حيث قامت بعض الحركات الاستقلالية وتكونت بعض الأنظمة العربية الحديثة التي اهتمت ببناء حديث للدولة ، كما تمردت حركات عربية أخرى على كيان الدولة العثمانية، واهتمت بلدان عربية مختلفة بنشر التعليم .

ثانيا :

محاولة محمد على إقامة امبراطورية عربية مستقلة وما ترتب على زحف ابراهيم باشا على الشام من وضع برنامج شامل لتأسيس المدارس الحكومية وتشجيع انتشار المدارس الأجنبية والاهتمام ببذور الوعي القومي في نفوس الطلاب وإنشاء كليات عالية في بعض مدن المشرق مثل دمشق وحلب .

ثالثا :

تلك الحركة الأدبية والعلمية التي ظهرت في سوريا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وكان من مظاهرها حركة شباب الجامعة الأمريكية العرب وجمعية النهضة العربية والجمعية العربية في بيروت وصيدا والجمعية العربية الوطنية في دمشق ورابطة الوطن العربي في باريس ، وكان بعض تلك الجمعيات علنيا وبعضها الآخر سريا ، لكن هدفها الأساسي كان يدور حول ايقاظ الروح العربية ودعوة العرب إلى استعادة مجدهم القديم والاهتمام باللغة العربية.

رابعا :

استبداد السلطان عبد الحميد بأمور الحكم وتوالي النكبات والقلاقل على الدولة العثمانية خاصة في البلدان العربية والبلقان ، وازدياد ضعف الدولة يوما بعد يوم وتراكم ديونها عاما بعد عام ، كل ذلك وغيره دفع السياسيين والمصلحين إلى الدعوة إلى الاصلاح ، واقتنع الشباب المثقف بضرورة قيام حركة قومية تزيل ذلك الاستبداد أولا حتى يمكن الشروع في الاصلاح .

خامسا :

كان اعلان الدستور العثماني بشيرا بتحرير الجماهير من قيود الاستبداد ، وبدت الفكرة العربية أكثر وضوحا عن ذي قبل ، وكان للانقلاب الدستوري رنة فرح في نفوس العرب الذين ظنوه بداية عصر جديد من الحرية سيسود الدولة كلها.

ونتيجة لتلك العوامل وغيرها بدأ العرب يوجهون نشاطهم توجيها قوميا ووجدوا مستقبلهم واستقلالهم وحريتهم في إقامة كيان عربي خاص فبدءوا منذ عام ١٩٠٩ يؤلفون الجمعيات السرية في باريس واستانبول ودمشق وبيروت ومصر وتبلور ذلك النشاط في المؤتمر الأول العربي الذي عقد في باريس عام ١٩١٣ •

ولم يكن هناك نشاط فلسطيني عربي منفصل في تلك الفترة فقد كانت فلسطين الحالية جزءا لا ينفصل عن الشام وكان رجالها يشاركون في ذلك النشاط العربي القومي الذي ظهر في تلك السنوات السابقة للحرب العالمية الأولى والذي تمثل في تلك الجمعيات والمنتديات الثقافية التي تكونت في تلك السنوات، فمن يتابع الجمعيات الرئيسية التي شكلت في البلاد العربية والتركية أو يرصد ارهاصات الاتجاه العربي في تلك الفترة يلاحظ وجود شخصيات فلسطينية في تلك الجمعيات.

ثانيا: تطورات القضية الفلسطينية حتى قيام الحرب العالمية الأولى:

لفتت حملة نابليون بونابرت Napoleon Bonaparte إلى مصر، التي احتلها بسهولة في يوليو ١٧٩٨، الأنظار إلى مدى ضعف الدولة العثمانية، وفتحت شهية الاستعمار الأوروبي لاقتسام تركة هذه الدولة، وبالرغم من أن حملة بونابرت على فلسطين انتهت بالفشل على أسوار مدينة عكا عام ١٧٩٩، إلا أنه كان أول زعيم سياسي أوروبي يصدر دعوة رسمية لليهود لتحقيق آمالهم وإقامة كيانهم على أرض فلسطين، وقد نشر دعوته هذه في ٢٠ أبريل ١٧٩٩م في أثناء حصاره لعكا.

فكان نابليون بونابرت أول من دعا اليهود إلى الهجرة إلى فلسطين وتأسيس دولة يهودية فيها، فيقول الكاتب الاسرائيلي، پوري التيري: «بعد أن احتل نابليون مصر، وواصل حملته لاحتلال سوريا، نشر الاعلان التالي في الجريدة الرسمية :

((ان بونابرت يدعو جميع يهود آسيا وافريقيا ليحضروا وينظموا صفوفهم تحت لوائه لإعادة تأسيس أورشليم كما كانت في الماضي)) ، وتقول الكاتبة السوفيتية جالينا تيليتينا إنه في وقت الحملة على فلسطين، جند نابليون في جيشه عدداً من يهود آسيا وافريقيا، وإنه صاحب فكرة استعادة المملكة اليهودية في

أورشليم، تحت رعاية فرنسا ، ويذكر أنيس الصايغ أنه : ((جاء في رسالة هرتسل إلى قيصر ألمانيا في ١٠ مارس ١٨٩٩م التي حثه فيها على تبني تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين أن هذه الفكرة كانت قد نالت عطف أحد عظماء ملوك هذا القرن هو نابليون بونابرت)).

ولم تكن الأهمية الخاصة لمصر وبلاد الشام لتغيب عن أعين البريطانيين الذين كانوا القوة الكبرى الأولى في العالم، فلم يقتصر اهتمام بريطانيا بفلسطين والمنطقة العربية على تأمين الطريق التجاري إلى الهند، بل كانت بريطانيا تريد أن تحتفظ بالمنطقة أيضاً لحساب نفوذها لأغراض تتعلق بمستقبل الدولة العثمانية، ولهذا تدخلت عسكرياً عندما هزمت جيوش محمد علي باشا بقيادة ابنه ابراهيم باشا، الجيوش العثمانية، الأمر الذي عرف تاريخياً بـ «المسألة الشرقية»، واستبع ذلك إقدام بريطانيا على الالتزام بسياسة ثابتة، هدفها الحفاظ على المصالح التجارية البريطانية في المنطقة والتدخل الاستعماري، تحت ستار حماية الأقليات الدينية، فافتتحت بريطانيا اول قنصلية لها في القدس عام ١٨٣٨، وجهت معظم جهودها ونشاطها لحماية الجالية اليهودية في فلسطين، وكما يقول ألبرت هايمسون : «أصبحت مسألة حماية اليهود الشغل الشاغل للقنصلية البريطانية في القدس، وذلك على الرغم من أن عدد اليهود في فلسطين في ذلك الوقت لم يتجاوز تسعة آلاف نسمة» ، ففي أول رسالة لنائب القنصل في القدس، طلبت الخارجية البريطانية منه توفير الحماية لليهود، حتى وإن كانوا غير بريطانيين، ولذلك ظلت هذه القنصلية مركزا للدفاع عن مصالح اليهود حتى نشوب الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤.

وعندما تم للبريطانيين السيطرة على قبرص عام ١٨٧٨، ومصر عام ١٨٨٢، أصبحت الدولة الاستعمارية الوحيدة التي لها قواعد شرقي البحر المتوسط،

وفضلاً عن الخلفيات الدينية والتاريخية، فقد أصبحت تنظر إلى فلسطين في ضوء التنافس الاستعماري على المنطقة، وفي ضوء حاجتها لحماية الجناح الشرقي لقناة السويس التي أصبحت الشريان الحيوي للمواصلات البريطانية خصوصاً إلى الهند، وعندما تأسس المشروع الصهيوني، وظهرت فكرة الدولة الحاجزة، فإنها كانت تخدم بلا شك، مختلف الدوافع والخلفيات الدينية والحضارية والسياسية والاستراتيجية، وأصبحت تتخذ أبعاداً عملية يمكن تنفيذها في ضوء التدهور العثماني المتسارع. فما هي الحركة الصهيونية؟.

ثالثا: الحركة الصهيونية وقضية فلسطين:

هي حركة سياسية عنصرية رجعية، لا إنسانية استهدفت تجميع اليهود من كل أنحاء العالم وتوحيدهم اعتماداً على تزوير التاريخ ، واستغلال الدين وجعله ذريعة، وقامت هذه الحركة على مجموعة من المبادئ كان أهمها: معاداة السامية ، والاستيلاء على أراضي الغير بالقوة، وقد دعمت الدول الاستعمارية هذه الحركة للتخلص من النفوذ الاقتصادي والسياسي لليهود في أوروبا، وللتخلص من تجمعاتهم السكنية (الجيتو) التي أثارت نقمة في نفوس سكان هذه البلدان.

لقد كانت النهضة الفكرية التي انطلقت في أوربا قد رفعت معها المستوى الفكري لليهود، كما أن الانطلاقة الاقتصادية الكبرى التي شملت معظم أوربا أعطت فرصة واسعة لليهود لاستثمار مهاراتهم الاقتصادية في تكوين ثروات كبيرة، حيث أن النظرية القومية كانت هي السائدة في التاريخ الحديث فقد كان اليهود – وهم غالبا ما يعيشون في (جيتو) خاص بهم – يعملون على الحفاظ على مقوماتهم اليهودية الخاصة في مواجهة نمو المشاعر القومية لدى الشعوب التي يعيشون بها، الأمر

الذي صعد من العداوة التي كانت بين اليهود من جهة والشعوب الأوربية المسيحية من جهة أخري.

منذ مطلع القرن التاسع عشر والمفكرون اليهود يلتمسون أية وسيلة لتهجير اليهود إلى فلسطين على اعتبار أنها أرض الميعاد والأرض التي وعد الله بها شعب الله المختار، وأنها هي الأرض التي ستجمع شعب اليهود المشتتين منذ العصور القديمة بين مختلف شعوب العالم، وقد ظل اليهود يسعون طويلا لإقامة وطنا قوميا لهم في فلسطين وباءت محاولاتهم بالفشل عندما حاول زعيمهم الأول موسى منتفيوري في الاتفاق مع محمد علي على إنشاء مستعمرات زراعية لليهود في فلسطين، وكذلك لم ينجح في محاولاته لدى السلطان العثماني بعد زوال الحكم العثماني من الشام.

ولم تكن أصداء الدعاوي التي أطلقها اليهود والصهاينة للعودة إلى فلسطين لتأخذ أبعادا جدية قبل نهايات القرن التاسع عشر، فقد ظهرت بواكير هذه الدعوات في القرن السادس عشر، فيرى البعض أن أطماع اليهود الغربيين في العصر الحديث في الأراضي الفلسطينية بدأت منذ عام ١٥٣٠م، عندما حاول اليهودي الإيطالي "يوسف ناسي" الذي كان يعتبر أغنى رجل في العالم حينها بناء مستعمرة لليهود الغربيين يفرون فيها من الاضطهاد الذي يتعرضون له الغرب.

مروراً بأول كتاب صدر حول هذا الموضوع بقلم المحامي البريطاني هنري فنش Henry Finch عام ١٦٢١ بعنوان "البعث العالمي الكبير أو عودة اليهود"، كما ظهرت في كتابات ودعوات النصارى أمثال إسحاق نيوتن Isaac Newton جاك (١٦٤٣-١٧٢٧)، وجان روسو (Jean-Jacques Rousseau-١٧٧٨ ١٧١٢) وجوزيف بريستلي Priestley Joseph (١٧٣٣-١٨٠٤)، وشافتسبري

Shafiestaury، ولورنس أوليفانتLaurence Oliphant وظهرت كذلك دعوات اليهود أمثال شبتاي تسفي Shabbeta Tzvi (١٦٢٦-١٦٧٦)، وزفي هيرش كاليشر Zvi Hirsch Kalischer (١٧٩٥-١٨٧٤)، ويهودا القالي وموزيس هس Hess Moses(١٨٧٠-١٨١٢) وغيرهم، غير أن قدوم اليهود ظل مرتبطاً بالعاطفة الدينية التقليدية في زيارة الأماكن المقدسة، أو السكن بجوارها، كما ارتبط بمشاريع استيطانية "خيرية"، ولم يأخذ طابع البرنامج السياسي المنظم المكشوف، فقد كان عدد اليهود في فلسطين عام ١٧٩٩ نحو خمسة آلاف ، وفي عام ١٨٧٦ بلغ ١٣ ألفاً و٩٢٠ يهودياً".

أما عن العوامل الجذرية لقيام الحركة الصهيونية وعلاقتها باختيار فلسطين لتقيم عليه كيانها : فتستند العقيدة الصهيونية إلى ثلاثة جذور يعتبر كل منها ركنا لم يكن للصهيونية أن تستمر دونه وهي :

أولا : الجذر الديني واتخاذه ذريعة:

يظهر الجذر الديني في كلمة (الصهيونية) كمصطلح للدلالة على أهمية الجسر الديني التاريخي بين (صهيون) الأمس والصهيونية اليوم ، أي بين أرض التوراة ومملكة داوود وسليمان في القرن العاشر ق.م وبين الحركة السياسية في نهاية القرن التاسع عشر وقد وردت كلمة (صهيون) في التوراة (١٥٢) مرة وفي العهد الجديد (٧) مرات ، وتأكيدا لأهمية الجذر الديني يقول – هربرت بارس – في شرحه لطبيعة الصهيونية (تعلم اليهود أنهم نفوا لأنهم ارتكبوا الخطيئة ، وعندما يكفرون عن خطاياهم يعودون إلى أرض الميعاد) وقد استغل زعماء الحركة الصهيونية هذه المقولة أبشع استغلال ليوجهوا بقوة أنظار اليهود نحو فلسطين ويصرفوا النظر عن التفكير في مكان آخر.

كما اعتمدت الحركة الصهيونية أسطورة (شعب الله المختار)، وأسطورة الوعد الإلهي (من النيل إلى الفرات ، ملكك يا اسرائيل)، وكذلك مقولة الحق التاريخي ، فقد ترجمت الصهيونية مقولة شعب الله المختار، ونور الامم، إلى مزيج من العرقية والتعصب الديني الاستغلالية العدوانية، مستندة في ذلك إلى التوراة والتلمود، فاعتبرت العنصر اليهودي مميزاً عن باقي البشر ، وأن الله قد خلق لخدمة شعبه المختار وسخرهم له ؛ وعلى ذلك فلا مانع من ترحيل عرب فلسطين ثم عرب شرق الأردن إلى العراق، وبذلك تكون الصهيونية قد سبقت النازية والهتلرية التي قالت بامتياز الجنس الآري، ورفعت شعار (المانيا فوق الجميع).

ثانيا: الجذر العاطفي (الهوية):

ورد هذا الجذر أحيانا باسم الجذر التاريخي، أو الجذر العاطفي تجاه الأرض المقدسة ، الأمر الذي خلق رابطة وحدوية (ملفقة) بين اليهود في الشتات ، من ناحية أخرى ارتبطت العاطفة اليهودية بمعاداة السامية الحديثة ، فتوجهوا نفسيا وفكريا نحو حل مشترك ببناء وطن خاص بهم على أن يعتمدوا في ذلك على الدوافع التي تثير عواطف تاريخية أو معاصرة ، ايجابية أو سلبية ، ومع بروز القوميات وانتشارها في أوروبا طرح السؤال ، عما اذا كان بإمكان اليهود أن يساهموا في بناء حضارة قومية في أوروبا أو يكونوا مواطنين فيها ، فجاء جواب زعماء صهيون واضحا وهو نعم لحضارة قومية لليهود ولكن وقبل ذلك يجب أن يختار اليهود مكانا يكتسبون فيه شرعية تاريخية ، وهكذا تحولت الأنظار نحو فلسطين .

ثالثا : الجذر الاستعماري الاستيطاني:

شكل الاستعمار الأوروبي فكرا ونهجا وممارسة أصلا متينا للصهيونية وعاملا أساسيا في استمرارها ، فلا صهيونية دون استعمار ، ولا نجاح للاستعمار الصهيوني إن لم يكن استعمارا استيطانيا ، من هنا ، فان التوجه الاستعماري في انطلاقة الحركة الصهيونية لم يكن مجرد حلف مرحلي، وإنما كان حلفا استراتيجيا ومبدأ ثابتا من مبادئ الصهيونية.

وفي أوج العصر الاستعماري الأوروبي وبينما كانت أراضي قارة شاسعة كأفريقيا تتنازعها وتتبادلها القوى الاستعمارية ، لم يكن أمرا مخالفا لمنطق العصر أن تولد الصهيونية من رحم الاستعمار ، ولم يكن أمرا مستهجنا أن تعرض على الصهيونية أراض متعددة كي تستعمرها وتحولها وطنا لها مثل موزمبيق ، أوغندا ، الأرجنتين أو فلسطين ، فاختارت الصهيونية فلسطين لسهولة الوصول إلى تحقيق الفكرة بالاعتماد على المنطق التاريخي حتى لو كان مغلوطا ومزيفا.

وبذلك فان العوامل الدافعة إلى ظهور الصهيونية:

١- معاداة السامية.

٢- مصالح بريطانيا الاستعمارية في الشرق.

٣- فشل اندماج اليهود في المجتمعات الأوروبية.

وعلى ذلك بدأ اليهود الغربيون في ثمانينيات القرن التاسع عشر، بتبني نظريات جديدة في استعمار الأراضي الفلسطينية تقوم على فكرة استبدال الشعب الفلسطيني العربي بالشعب اليهودي الصهيوني واستبدال محاولات السيطرة المدنية أو السلمية بالسيطرة المسلحة، ورأى العديد من الصهاينة أن موقع هذه الدولة يجب أن يكون في مكان الدولة التاريخية اليهودية، المنطقة التي تعرف باسم فلسطين التي

كانت حينئذ جزءا من الدولة العثمانية وكانت مأهولة بالفلسطينيين بشكل رئيسي، وأخذت الهجرة اليهودية تتخذ طابعاً أكثر تنظيماً وكثافة منذ عام ١٨٨٢ إثر تصاعد "المشكلة اليهودية" في روسيا، وقامت السلطات العثمانية بعدد من الإجراءات لمنع الاستيطان اليهودي في فلسطين، وقامت عام ١٨٨٧ بفصل سنجق القدس عن ولاية سورية، ووضعته مباشرة تحت إشراف الحكومة المركزية (الباب العالي) لإعطاء رعاية واهتمام أكبر لهذه المنطقة"، وبالرغم من أن عدد اليهود الذين تركوا بلدانهم الأصلية خصوصاً روسيا وشرقي أوروبا، بلغ حوالي مليونين و٣٦٧ ألف شخص خلال الفترة ١٨٨١-١٩١٤، إلا أن عدد من استطاع الهجرة منهم إلى فلسطين بلغ نحو ٥٥ الفا أي ما نسبته ٢,٣٢% ، بينما هاجرت الأغلبية الساحقة إلى الولايات المتحدة وأوروبا الغربية وأمريكا الجنوبية، وهذا يدل على نجاح نسبي للسلطات العثمانية في الحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين، ولم يكن اليهود يشكلون أكثر من ٥٪ حتى عام ١٩٢٠م.

وقد كان لأبناء فلسطين نشاط مبكر في مواجهة المشروع الصهيوني، فقد وكانت أولى الاصطدامات المسلحة بين الفلاحين الفلسطينيين والمستوطنين الصهاينة عام ١٨٨٦، وقاموا بتقديم العرائض للسلطات العثمانية، وكان لفلسطين دور في الدولة العثمانية حيث كان لأهل فلسطين ممثلون في مجلس المبعوثان الذي انتخب في أعقاب صدور الدستور إذ كان روحي الخالدي وسعيد الحسيني وحافظ السعيد مندوبين عن لواء القدس والشيخ أحمد الخماش عن لواء نابلس وأسعد الشقيري عن لواء عكا، وكان للمثقفين الفلسطينيين دور هام في التصدي لسياسة التتريك ومواجهة الهجرة اليهودية إلى بلادهم وقد أسسوا نحو ١٧ من المنظمات والأحزاب السياسية للتعبير عن آرائهم والدفاع عن حقوقهم الوطنية وارتبطت كثير منها بقضايا المنطقة والأمة العربية، كما نشطت الصحف في تبيان الخطر الصهيوني مثل

جريدتي الكرمل وفلسطين، وكان للشيخ محمد رشيد رضا المصلح الإسلامي "اللبناني" المقيم في مصر من خلال مجلة المنار دور رائد في ذلك، كما برز من رجالات فلسطين يوسف ضيا الخالدي وسليمان التاجي الفاروقي وإسعاف النشاشيبي... ممن تحدثوا عن الخطر الصهيوني، وكانت سياسات "التتريك" والمحاباة للصهيونية التي مارستها حكومة الاتحاد والترقي باعثاً رئيسياً لأبناء فلسطين والعرب للانضمام للجمعيات العربية، التي أخذت تطالب بالإصلاح ضمن الدولة العثمانية، مثل حزب اللامركزية والعربية الفتاة وغيرها".

رابعا: المؤتمر الصهيوني الأول (مؤتمر بازل) ١٨٩٧ م:

عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بازل السويسرية في الفترة الواقعة ما بين ٢٩ – ٣١ اغسطس ١٨٩٧ م، حضره (٢٠٤) زعماء يهود يمثلون (١٥) دولة، ترأس المؤتمر مؤسس الصهيونية الأول وصاحب كتاب (الدولة اليهودية) ثيودور هرتزل Theodor Herzl الذي ظهر عام ١٨٩٦م، فاتحة العمل الصهيوني السياسي المؤسسي المنظم، لتأسيس الدولة اليهودية على أرض فلسطين، وقد حرص هرتزل على تحقيق المشروع الصهيوني من خلال الاتصالات الدبلوماسية، ومحاولة تشجيع القوى الكبرى، وخصوصا بريطانيا على تبني هذا المشروع، في ضوء المصالح والفوائد التي يمكن أن يجنيها الغرب الاستعماري ، وقد حاول هرتزل عبثاً إقناع الدولة العثمانية ببيعه فلسطين وإعطاء اليهود حكماً ذاتياً فيها تحت السيادة العثمانية، وفتح أبواب الهجرة اليهودية إليها مقابل عروض مغرية، كانت الدولة العثمانية في أمس الحاجة إليها، إلا أن السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦–١٩٠٩) وقف سداً منيعاً ضد رغبات اليهود، ورد على من نقل اقتراح هرتزل إليه قائلا: أنصحه ألا يسير أبدًا في هذا الأمر، لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً من

البلاد؛ لأنها ليست لي بل لشعبي، ولقد حصل شعبي على هذه الإمبراطورية بإراقة دمائهم، وقد غذوها فيما بعد بدمائهم، وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا... ليحتفظ اليهود ببلاييننهم، فإذا قسمت الإمبراطورية، فقد يحصل اليهود على فلسطين دون مقابل، إنما لن تقسم إلا على جثثنا، ولن أقبل بتشريحنا لأي غرض كان"[١*].

وكان أبرز ما جاء في كلمة هرتزل الافتتاحية أنه:

١- رفضه رفضا قاطعا الوسائل الاستعمارية القديمة بالسيطرة على فلسطين قطعة قطعة.

٢ - ركز على أهمية الوعد الدولي في إنشاء وطن قومي لليهود.

٣- ضرورة إنشاء مؤسسات صهيونية جديدة .

٤ - اعتبار معاداة السامية شعارا لتحقيق الهدف.

انتهى المؤتمر بانتخاب هرتزل رئيسا للمنظمة الصهيونية، وأهم ما خرج به المؤتمرون ما عرف ببرنامج الحركة الصهيونية العالمية (برنامج بازل) ومن أهم بنوده أن الحركة الصهيونية تسعى لإقامة وطن لليهود في فلسطين معترف به وفقا للقانون العام، ولتحقيق أهم بنوده أن الحركة الصهيونية تسعى لإقامة وطن لليهود

* جدير بالذكر بأنه قد شارك اليهود بفعالية في إسقاط السلطان عبد الحميد من منصبه، من خلال نفوذهم الكبير في جمعية تركيا الفتاة وذراعها لجنة الاتحاد والترقي، والتي قامت بالانقلاب العسكري عليه، وإجباره على التنازل عن العرش، وتعمدت إرسال أحد زعمائها، وهو إيمانويل قره صو Emmanuel Carasso (وهو زعيم يهودي صهيوني ماسوني) ضمن الوفد الذي أبلغ السلطان عبد الحميد بقرار عزله، وكان قره صو هذا قد حاول التأثير على السلطان عبد الحميد لإسكان اليهود في فلسطين، فقام بطرده ".

في فلسطين معترف به وفقا للقانون العام، ولتحقيق هذا الهدف يتخذ المؤتمر الوسائل التالية :

أولا: تعزيز الاستيطان في فلسطين باليهود المزارعين والحرفيين والمهنيين بناء على قواعد صالحة.

ثانيا: تنظيم اليهود كافة، وتوحيدهم وتوثيق الروابط بين العناصر اليهودية المشتتة بإنشاء المؤسسات المحلية والعامة الملائمة وفقا للقوانين السارية في كل بلد.

ثالثا : إيقاظ الوعي القومي لليهود.

رابعا : اتخاذ الخطوات التحضيرية للحصول على موافقة الحكومات التي يجب الحصول عليها لتحقيق هدف الصهيونية.

وقد كتب هرتزل في يومياته عقب انتهاء المؤتمر: " لو شئت اختصار المؤتمر في كلمة واحدة لقلت باختصار في بازل أنشأت الدولة اليهودية.

وعلى ذلك تحدد خلال المؤتمر فكرة (إقامة وطن قومي لليهود) ، ثم تحددت فلسطين في مؤتمر عام ١٩٠٥م لتكون الوطن القومى لليهود تحت شعار العودة لفلسطين ، ذلك كان بداية الحركة الصهيونية (العودة إلى فلسطين)، وأنشئت المنظمة الصهيونية العالمية والصندوق الصهيوني لتمويل عمليات الهجرة وشراء الأراضي للمهاجرين اليهود إلى فلسطين.

لاقي هذا المشروع الصهيوني غضباً شعبيا عم كل فلسطين، ورفضاً قاطعاً من كل الشخصيات السياسية آنذاك، كان من بينهم مفتي القدس الحاج محمد أمين الحسيني وعزالدين القسام ولاحقاً عبد القادر الحسيني، وزعماء سياسيين ودينيين

وعسكريين آخرين، وكانت هي بدايات نشوء المقاومة الشعبية في فلسطين، فيما تباينت مواقف الشخصيات العربية والحكام العرب في تعاملهم مع هذا المشروع فمنهم من أيد الفلسطينيين في تحقيق مصيرهم، ومنهم من التزم الصمت، ومنهم من مد يده لزعماء الحركة الصهيونية من أجل نيل رضى الحكومة البريطانية، مثل الأمير فيصل بن الحسين الذي التقى حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية، وغيره .

أما بالنسبة للدول الغربية فقد رحبت بالمشروع الصهيوني في فلسطين، فتلقى المشروع دعماً مالياً وعسكرياً ولوجستياً من دول كبرى مثل بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا، والتي رأت في كون الدولة العبرية التي يطمح الصهاينة لإنشائها في فلسطين، حماية لمصالحها في المنطقة.

خامسا: قضية فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤- ١٩١٨م:

كانت الحرب العالمية الأولى فرصة لانطلاق الاستعمار والصهيونية وأهدافها في المنطقة العربية ، فالاستعمار وبخاصة الانجليزي والفرنسي يرغب في الاستيلاء على أشلاء الدولة العثمانية (الرجل المريض)، فمع بداية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ كان قد بلغ عدد اليهود في فلسطين نحو ٨٠ ألفاً، غير أن موقف اليهود الممالئ لبريطانيا وحلفائها ضد الدولة العثمانية قد جعل العثمانيين يضيقون عليهم فترة الحرب (١٩١٤- ١٩١٨)، فانخفض عددهم مع نهايتها إلى نحو ٥٥ ألفًا.

وقد كانت الحرب العالمية الأولى خطرا هائلا على الجميع، لكنها مثلت في الوقت نفسه فرصة أمام كل طرف للانتفاع من نتائجها في حالة الانتصار، فنشط سوق المفاوضات والاتصالات السرية والمعاهدات لترتيبات ما بعد الحرب، وعلى

الرغم من أن المنظمة الصهيونية العالمية عانت مؤقتاً من حالة من التشتت بسبب وجود الكثير من قياداتها في ألمانيا، إلا أن حاييم وايزمان Chaim Weizmann استطاع إعادة ترتيب أوراقها، وقيادتها عملياً من خلال مركزه في بريطانيا.

أما بريطانيا فقد سعت إلى ضمان نفوذها في بلاد الشام والعراق من خلال السير في ثلاثة اتجاهات متعارضة متضاربة، ولم تبال بهذا التعارض كثيرا في سبيل تحقيق أهدافها والانتصار في الحرب.

كان **الاتجاه الأول** التفاوض مع الشريف حسين بن علي أمير الحجاز فيما عرف بمراسلات حسين- مكماهون Hussein-McMahon Correspondence يوليو ١٩١٥ – مارس ١٩١٦، حيث كان الحسين بن على يعمل على بناء دولة عربية منذ أن أسندت إليه شرافة مكة في أعقاب انقلاب ١٩٠٨م ضد السلطان العثماني، وقام بنشاط سياسي واسع النطاق نسبيا سواء في شبه الجزيرة العربية أو خارجها، فكان يرفض نظرية الدولة العثمانية كممثلة للدولة الإسلامية العامة (دولة الخلافة)، وهي نفس النظرية التي كان يتبناها الانجليز حينذاك ، فقام ابنه الأمير عبد الله بالاتصال بالسير رونالد ستورز ، لاستشفاف رأى السلطات البريطانية إزاء محاولة الأتراك العثمانيين إقصاء الشريف حسين عن موقعه، فكان طبيعيا أن أبدى الإنجليز تعاطفا مع الشريف بعد وقوع الحرب ، حيث أخذت تنشط قنوات الاتصال بين شرافة مكة وإدارة المندوب السامي بالقاهرة، حيث وجدت بريطانيا أن الشريف حسين بموقعه في مكة وحسبه ونسبه هو المؤهل لإعلان ثورة مدوية وإطلاق نداء بالجهاد يضاد به نداء السلطان.

اتصل الشريف حسين بالإنجليز سرًا وجرت مراسلات بينه وبين المندوب السامي البريطاني بمصر السير هنرى مكماهون ، حول الشروط التي يشترطها العرب للقيام بالثورة على الترك والانضمام إلى الحلفاء ، وقد طالب الشريف حسين في رسائله بأن تعترف بريطانيا باستقلال البلاد العربية من مرسين وأضنة شمالا حتى البحر الهندي جنوباً ، ومن فارس وخليج البصرة شرقاً حتى البحر المتوسط والبحر الأحمر غرباً (باستثناء عدن) ، ولكن مكماهون بعد ما اكد رغبة بريطانيا في استقلال البلاد العربية وطلب إرجاء البحث في الحدود ، فأصر الحسين على تعيين الحدود فأجاب مكماهون بأن إنجلترا مستعدة للاعتراف باستقلال العرب في نطاق الحدود المقترحة على أن تستثنى بعض الأقسام الواقعة في غرب دمشق وحمص وحماة وحلب بزعم أنها ليست عربية محضة مشيراً إلى مصالح فرنسا فيها ، فأجابه الحسين باستحالة التنازل عن بيروت وسائر السواحل السورية لأنها عربية صرفة ، لا فرق فيها بين المسلم العربي والمسيحي العربي ، فأجاب مكماهون في ٣٠ من يناير ١٩١٥ بأن بريطانيا أحاطت علماً بما ذكره الحسين وجعلته موضع عنايتها الخاصة ، كما أكد أن بريطانيا لن تعقد صلحاً ما لم يحو شروطاً تضمن حرية الشعوب العربية.

على ذلك عملت بريطانيا على دفعه لإعلان الثورة العربية على العثمانيين مقابل وعود باستقلال معظم المناطق العربية في جزيرة العرب وبلاد الشام والعراق تحت زعامته، وكان الكثير من رجالات العرب قد أصيبوا بالإحباط جزاء سياسات الاتحاد والترقي ، التي أفقدت الدولة العثمانية مصداقيتها الإسلامية، كما غضبوا لقيام جمال باشا الصغير والي سورية بتعليق العديد من القيادات العربية على أعواد المشانق في مايو ١٩١٥، بالرغم من أن زعامات الجمعيات العربية كانت قد أعلنت في بداية الحرب تناسي خلافاتها مع العثمانيين، والوقوف إلى جانبها.

ووجد الشريف حسين أنه إن لم يعلن الثورة فإن الأتراك سينقضون عليه، فأعلن الثورة في يونيو ١٩١٦م، دون أن يكون قد حصل من الانجليز على اعتراف صريح بحق العرب في الاستقلال معتمدا على حسن تقييم الانجليز والحلفاء لموقف العرب المناصر للحلفاء في الحرب، وما كان الانجليز أو الحلفاء ليقيموا وزنا إلا لمصالحهم هم أولاً.

كان إعلان الشريف حسين الثورة ضد الأتراك باسم العرب جميعاً، وكانت مبادئ الثورة العربية قد وضعت بالاتفاق ما بين حسين وقادة الجمعيات العربية في بلاد الشام والعراق في ميثاق قومي عربي غايته استقلال العرب وإنشاء دولة عربية متحدة قوية، وكانت فلسطين من ضمن المناطق المكونة لهذه الدولة العتيدة.

وقد نجحت قوات الشريف في تصفية الوجود العسكري التركي في الحجاز باستثناء حامية المدينة، ودخل دمشق ثم حمص وحماه وحلب، في الوقت الذي دفعت فيه القوات الانجليزية القوات العثمانية في العراق أمامها حتى استولت القوات الانجليزية على بغداد وأصبحت على مقربة من الموصل عندما أعلنت الدولة العثمانية رغبتها في وقف القتال، فعقدت هدنة مدروس في نوفمبر ١٩١٨م، وفي أعقابها استولت القوات الانجليزية على الموصل.

أما **الاتجاه البريطاني الثاني** فكان التفاوض مع فرنسا (انضمت بعد ذلك روسيا للمفاوضات بشأن مستقبل العراق وبلاد الشام، وقد تم الاتفاق فيما يعرف باتفاقية سايكس بيكو Sykes–Picot Agreement في مايو ١٩١٦م على اقتسام الجزء الشمالي من الأراضي العربية (العراق وبلاد الشام) بين فرنسا وبريطانيا لتحديد مناطق النفوذ في المشرق العربي بعد انهيار الدولة العثمانية المسيطرة على هذه المنطقة جراء هزيمتها في الحرب العالمية الأولى، واتفق على إعطاء البريطانيين

معظم العراق(ولاية البصرة وبغداد)، وأجزاء من جنوب الشام، بالإضافة إلى حيفا وعكا، ولكن الاتفاق نص أن يكون لفرنسا حرية استخدام ميناء حيفا مقابل حرية استخدام بريطانيا لميناء اسكندرون السوري الواقع تحت الوصاية الفرنسية، أما لبنان وسورية فتوضعان تحت الاستعمار الفرنسي، كما تقرر أن تقع المنطقة التي اقتطعت فيما بعد من جنوب سوريا وعرفت بفلسطين تحت إدارة دولية (عدا صحراء النقب)، –نظراً لرغبة كافة الأطراف في استعمار فلسطين فقد اتفق على أن توضع تحت إشراف دولي– يتم الاتفاق عليها بالتشاور بين بريطانيا وفرنسا وروسيا.

وعلى ذلك كانت الاتفاقية على حساب العرب، فأقامت فاصلا بشرياً غريباً في أخطر جزء من الوطن العربي، يفصل عرب المشرق عن عرب المغرب، ويقطع الامتداد العربي، ويعرقل قيام الوحدة العربية، ويكون في الوقت نفسه قريباً من قناة السويس، صفقة تخدم أغراض الاستعمار وتحقق حلم الصهيونية.

وكان **الاتجاه البريطاني الثالث** هو التفاوض مع المنظمة الصهيونية العالمية حول مستقبل فلسطين، وقد دفعهم إلى ذلك حاجتهم الماسة لاستخدام اليهود في الولايات المتحدة لدفعها للمشاركة في الحرب إلى جانب بريطانيا وحلفائها (وهذا ما حدث فعلاً في مارس ١٩١٧)، فضلا عن وجود النفوذ اليهودي الصهيوني في بريطانيا وفي الحكومة البريطانية نفسها، من خلال وزير الداخلية اليهودي الصهيوني هربرت صمويل Herbert Samuel، والنصارى المتصهينين مثل رئيس الوزراء لويد جورج Lloyd George ووزير الخارجية آرثر جيمس بلفور Arthur James Balfour، هذا بالإضافة إلى ما أشرنا إليه سابقا من دوافع وخلفيات دينية وسياسية واستراتيجية... .

وكانت النتيجة صدور تصريح بلفور الذي اشتهر بـ"وعد بلفور" في ٢ نوفمبر ١٩١٧م . فما هو تصريح بلفور؟

سادسا: تصريح بلفور (نوفمبر ١٩١٧م) :

من منطلق السياسية التي تبنتها إنجلترا منذ بداية القرن العشرين في إيجاد كيان يهودي سياسي في فلسطين يظل خاضع لنفوذهم ودائراً في فلكهم وبحاجة لحمايتهم ورعايتهم، ويكون في المستقبل مشغلة للعرب ينهك قواهم ويعرقل كل محاولة للوحدة فيما بينهم.

توجت بريطانيا سياستها هذه يوعد بلفور الذي أطلقه وزير خارجيتها آنذاك. فما هو وعد بلفور؟

في أثناء الحرب العالمية الأولى نظرا لارتباط مصالح بريطانيا بمصالح الحركة الصهيونية، فكانت هناك مصالح مشتركة ذات بعد استراتيجي، ففي الأساس كانت بريطانيا قلقة من هجرة يهود روسيا وأوروبا الشرقية الذين كانوا يتعرضون للاضطهاد، فوجدت أن لها مصلحة في توظيف هذه العملية في برنامج توسعها في الشرق الأوسط، فحولت قوافل المهاجرين إلى فلسطين ، وقامت بتوفير الحماية لهم والمساعدة اللازمة، وأصبحت بريطانيا مستعدة لتأييد اليهود في إنشاء وطن قومي.

في هذه الآونة كان قد تولى زعامة الصهيونية كل من " حاييم وايزمان " و" هربرت صموئيل " وبدأت المفاوضات بين الحكومة البريطانية وبين الزعماء الصهيونيين في فبراير عام ١٩١٧م ، ووضع الصهيونيون آراءهم في قالب مشروع نهائي للحكومة البريطانية لتصدر تصريحاً رسمياً بشأنه ، وقد تلخص مشروع الصهيونية في : الاعتراف الدولي بحق اليهود في فلسطين ، وخلق جنسية قانونية

للجالية اليهودية في فلسطين ، وإنشاء شركة مساهمة يهودية في فلسطين تعطى حق امتلاك الأراضي ، وتوحيد فلسطين تحت إدارة واحدة ، وإعلان الأماكن المقدسة في فلسطين مناطق حرة وكانت المواد الثلاث الأولى من هذه المجموعة تضم الأهداف الصهيونية ، أما المادتان الأخيرتان فقد وضعتا لطمأنة كل من انجلترا وروسيا .

ومن هنا صدر الأمر البريطاني المعروف بتصريح بلفور عن وزارة الخارجية البريطانية في (٢ نوفمبر١٩١٧م) وهو عبارة عن رسالة موجهة من اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا إلى البارون روتشيلد أكبر الأثرياء اليهود في ، وأهم ما جاء به:

"عزيزي اللورد روتشيلد أعبر لكم عن بالغ سروري إذ أنقل إليكم باسم حكومة صاحب الجلالة التصريح التالي، بالعطف على الأماني اليهودية الصهيونية، وهو التصريح الذي عرض على مجلس الوزراء ونال موافقته: إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وستبذل أقصى مساعيها لتيسير تحقيق هذا الهدف، على أن يكون مفهوما أن شيئا لن يتم قد يكون من شأنه المساس بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف الحالية غير اليهودية في فلسطين، ولا بالحقوق ولا بالوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في أي بلد آخر، أكون ممتنا إذا أحطتم المنظمات الصهيونية علما بهذا التصريح. المخلص .. أرثر جيمس بلفور"

وعلى ذلك نص التصريح على أن:

١- تأسيس الوطن القومي اليهودي في فلسطين، ومن ثم ليس كل فلسطين تصبح وطنا قوميا للصهيونيين.

٢- لم يشر النص إلى عرب فلسطين صراحة بل يكاد يغفل وجودهم إلا عندما تحدث النص على (طوائف غير يهودية) ومن ثم كان الانجليز يضمرون منذ البداية استبعاد حقيقة قائمة حينذاك وهي (عرب فلسطين) و(عروبتها).

٣- إن بريطانيا منحت إقليما لا تملكه إلى طائفة لا تملكه دون استشارة أهل وأصحاب البلاد الذين كانوا يشكلون الأغلبية المطلقة لسكانه ، بل وعاملت بريطانيا العرب بمقتضى النص- على اعتبار أنهم مجرد طائفة ما-.

لقد صدر الوعد في رسالة، ولم يصدر في اتفاقية رسمية، ومع ذلك اعتبر وثيقة سياسية رسمية أخضعت أرض فلسطين وشعبها لأسوأ احتلال عنصري عرفته البشرية في تاريخها القديم والحديث، ومن الناحية القانونية اعتبر الوعد باطلا ومخالفا للشرعية الدولية على أساس أن:

١- بريطانيا كانت دولة مستعمرة ولم يكن لها سيادة على فلسطين، وكل ما يصدر عنها من قرارات وقوانين يعتبر باطلا ولاغيا.

٢- لا يحق لدولة – بناء على مشيئتها – أن تمد سطوتها على حساب دول وشعوب أخرى.

٣- القانون الدولي لا يعترف بأهلية الدولة البريطانية على أراض غير أراضيها الخاصة وعلى شعوب غير شعوبها ورعاياها.

٤- أنه أعطى شعبا هو (اليهود) حق التملك بلاد تخص شعبا آخر (الفلسطينيين) يدعم ومساندة من شعب ثالث هو (الشعب البريطاني) ، فهو وعد ممن لا يملك لمن لا يستحق.

وقد كان هذا من أغرب الوعود في التاريخ الإنساني، ففضلا عن تعارضه مع المعاهدات الأخرى، فقد تجاوز رغبات وأماني أصحاب البلاد الشرعيين، وتعهد أن يعطي أرضاً لا يملكها، بل ولم يكن قد احتلها بعد، إلى أناس لا يستحقونها، وكان ذلك في ذروة الحديث عن الشرف البريطاني، والدفاع عن القيم والمبادئ.

ولقد صاغ الصهيوني ماكس نورد الهدف البريطاني من هذا الوعد بوضوح تام، وصاغ معه الاستعداد الصهيوني للتوافق مع الهدف الاستعماري البريطاني، حيث قال لبلفور نفسه وبحضور لويد جورج : "نحن نعرف ما تتوقعونه منا، أن نكون حرس قناة السويس، علينا أن نكون حراس طريقكم إلى الهند عبر الشرق الأدنى، نحن على استعداد لتنفيذ هذه الخدمة العسكرية، ولكن من الضروري تمكيننا من أن تصبح أقوياء حتى نستطيع القيام بهذه المهمة" .

وعلى ذلك نجح زعماء الصهيونية في أن ينالوا وعد بلفور من الحكومة الإنجليزية خلال الحرب العالمية الأولى فكانت بداية المأساة الدامية في أبشع مؤامرة عرفها التاريخ ، وخلق تأييد بريطانيا لليهود نوعاً من العداء المرير لها في البلاد العربية ، حتى بعد تقوض نفوذها الاستعماري في تلك البلاد وتركت من آثار المقت والاحتقار لها ما يثير قلب كل عربي عليها ، وإذا كان صدور وعد بلفور ٢ من نوفمبر عام ١٩١٧م هو البداية الحقيقة لمأساة فلسطين فإن صدور قرار الانتداب في إبريل عام ١٩٢٠م متضمناً وعد بلفور هو البداية العملية لها.

وبذلك يتضح أن الحكومة البريطانية عندما وعدت العرب من خلال مراسلات حسين – مكماهون ١٩١٥م، بالاعتراف باستقلال العرب مقابل إشراكهم في الحرب إلى جانب الحلفاء ضد الأتراك، إلا أن بريطانيا نقضت عهدها للعرب، وتمت

المصادقة على اتفاقية سايكس بيكو ومن ثم وعد بلفور لتكريس الوجود الصهيوني في فلسطين، وفصل الأخيرة عن محيطها العربي.

وعلى ذلك ما كان لأطماع اليهود في فلسطين أن تتحقق لولا دعم الدول الاستعمارية وعلى رأسها بريطانيا.

الفصل الثاني

فلسطين تحت الاحتلال البريطاني١٩١٨-١٩٤٨

أولا: سياسة الانتداب البريطاني في فلسطين :

بدأت بريطانيا لا سيما بعد دخولها فلسطين عام ١٩١٧ بالتمهيد لسيطرة اليهود على فلسطين من خلال اصدار القرارات البريطانية وارسال لجان التحقيق العسكرية، وطرح مشاريع التقسيم بين اليهود والشعب الفلسطيني، فبعدما أتم البريطانيون احتلال جنوب فلسطين ووسطها في ديسمبر ١٩١٧، واحتلوا القدس في ديسمبر ١٩١٧م ، خطب قائد الجيش البريطاني اللنبي Allenby في القدس محتفلا بانتصاره قائلا: "والآن انتهت الحروب الصليبية"، وكأن حملتهم على فلسطين كانت آخر حملة صليبية، وكأن الحروب الصليبية لم تتوقف منذ أن شنها الأوروبيون قبل ذلك بأكثر من ٨٠٠ عام.

وفي سبتمبر ١٩١٨ احتل البريطانيون شمال فلسطين، كما احتلوا في سبتمبر – أكتوبر ١٩١٨ شرق الأردن وسورية ولبنان، وعملت بريطانيا إمعانا في التضليل أحد مبعوثيها، ديفيد هوجارث David Hogarth، في يناير ١٩١٨ لطمأنة الشريف حسين، حيث حمل تصريحاً بريطانيا بأن الهجرة اليهودية لفلسطين لن تتعارض مع مصالح السكان السياسية والاقتصادية، ومن جهة أخرى، حمل التصريح البريطاني إلى القياديين السوريين في يونيو ١٩١٨ تأكيدات واضحة على أن الأرض التي يحتلها البريطانيون (جنوب فلسطين وجنوب العراق) سوف تحكم وفق رغبات السكان، فضلا عن الموافقة على استقلال ما كان لا يزال تحت السيادة العثمانية من شمال فلسطين وشرق الأردن وسورية ولبنان وشمال العراق.

وعندما انتهت الحرب العالمية صدر التصريح الإنجلو – فرنسي في ٧ نوفمبر ١٩١٨ بتأكيد التعهدات للعرب الذين كانوا تحت الحكم العثماني في الحرية والاستقلال؛ لكن بريطانيا كعادتها نكثت بتلك الوعود.

فمنذ ذلك الوقت فتحت بريطانيا بالقوة مشروع التهويد المنظم لأرض فلسطين، واستطاعت بريطانيا بعد ذلك إقناع فرنسا بالتخلي عن مشروع تدويل فلسطين كما في نصوص سايكس بيكو، مقابل رفع بريطانيا لدعمها للحكومة العربية التي نشأت في دمشق بزعامة فيصل بن الشريف حسين، حتى تتمكن فرنسا من احتلال سوريا، فتنفيذا لاتفاقية سايكس – بيكو منع الأمير فيصل القوات العربية من دخول بيروت، وسمحت انجلترا لفرنسا بإنزال قواتها هناك، وأنزلت العلم العربي المرفوع، ورغم ما بذله الشريف حسين (ملك الحجاز) لكسب أعضاء مؤتمر الصلح إلى جانب قضية استقلال العرب واجه مواقف أشد تعنتا هو وابناه فيصل وعبد الله.

فبعد إنهاء الحرب توالت المذكرات العربية والصهيونية على المسئولين من دول الحلفاء وعلى مؤتمر الصلح، فقد طالب فيصل بن الحسين في مذكرته في ٢٩ يناير ١٩١٩م باستقلال كل العرب ومنهم عرب فلسطين، بينما طالبت مذكرة الصهيونيين في (فبراير١٩١٩م) بالاعتراف بالحق التاريخي لليهود في فلسطين ، وحقهم في إقامة وطن قومي لهم هناك على النحو التالي :

١- وضع فلسطين تحت الانتداب البريطاني.

٢- العمل على تطبيق نص تصريح بلفور.

٣- إقامة مجلس تمثيلي ليهود فلسطين.

وفي ٢٥ أبريل ١٩٢٠ عقد الحلفاء في سان ريمو مؤتمرًا تقرر فيه إعادة النظر في اتفاقية سايكس بيكو، بحيث يصبح فلسطين والعراق تحت الانتداب البريطاني ، ووضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي.

وبذلك اتفقت فرنسا وانجلترا على أن تكون فلسطين تحت الانتداب الانجليزي، وأن تلتزم الحكومة البريطانية بتنفيذ تصريح بلفور دون أية إشارة إلى العرب صراحة مع أنهم كانوا يشكلون أغلبية سكان فلسطين، وبذلك تكون عصبة الأمم – التي أقرت نظام الانتداب قد تخلت عن واحد من أهم أهدافها ألا وهو مساعدة الشعوب على أن تحكم نفسها بنفسها، وسارت في طريق إبادة عرب فلسطين وتهويدها.

ولم تقتصر وثيقة الانتداب على إدماج وعد بلفور في مقدمتها فحسب بل تـناولت نصوصها كل ما يساعد على إنشاء الوطن القومي ، فالمادة الثانية تحدد مدى مسئولية بريطانيا عن الأحوال السياسية والاقتصادية والإدارية التي تكفل تحقيق الوطن القومي اليهودي كما أن المادة الرابعة تنص على الاعتراف بالجمعية الصهيونية كهيئة عمومية ، ومنحتها كثيرا من الامتيازات الاقتصادية والسياسية والإدارية حتى غدت قوة لها شأنها في البلاد ، وكأنها دولة داخل الدولة ، وتناولت المادة السادسة تنظيم الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتيسيرها بإشراف الهيئة اليهودية ومساعدتها وهذه الهيئة اليهودية هي التي أصبحت تعرف باسم " الوكالة اليهودية ".

ونتيجة لقرارات مؤتمر سان ريمو انهت بريطانيا عهد الادارة العسكرية في فلسطين ، وبدأ عهد الادارة المدنية ابتداء من أول يوليو ١٩٢٠م، ، وعينت الحكومة البريطانية اليهودي الصهيوني هربرت صمويل مندوبا ساميا بريطانيا (١٩٢٠-١٩٢٥م)، وكان من مؤيدي إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، ولعب دوراً بارزاً في إصدار وعد بلفور ، وقام غداة اعلان الحكومة الجديدة بإذاعة بيان رسمي تناول فيه سياسة بلاده ومسئولياتها الجديدة في فلسطين بعد اطلاعها بالانتداب والتعهد بإنشاء وطن قومي لليهود ، وقد شرع في تنفيذ المشروع الصهيوني ميدانياً على الأرض، وشكل إدارة عليا ذات طابع صهيوني، وصدرت القوانين التي تنقل الأراضي

المملوكة للدولة إلى اليهود والقوانين التي تسهل انتقال الأراضي بالشراء أو بالتنازل من أيدى العرب إلى اليهود، وكانت رءوس الأموال الصهيونية مستعدة لتغطية طلبات أي بائع حتى ولو كانت الأسعار مرتفعة فالمهم هو الاستحواذ على الأرض.

وقام هربرت صموئيل حال إعلان الحكومة الجديدة بتكوين مجلس استشـاري من الموظفين الإنجليز وممثلي المسلمين والمسيحيين واليهود ، وقد دلت هذه التفرقة بين المسلمين والمسيحيين على نية بريطانيا في تبرير تمثيل اليهود في المجلس التنفيذي، ولما وضع نظام الإدارة الجديد ونص على قيام مجلس تشريعي يعين فيه الإنجليز بجانب أعضاء منتخبين من المسلمين والمسيحيين واليهود ، قاطع العرب مسلمين ومسيحيين انتخاباته على أساس انهم لا يمثلون فيه أغلبية صريحة ، ما دام الأعضاء الإنجليز سيمثلون، بالإضافة إلى أن الأعضاء اليهود يكونون أغلبية المجلس وكان تشكيل المجلس كالآتي ١١ عضوا من الموظفين الإنجليز ، ٨ أعضاء للمسلمين وعضوان للمسيحيين وعضوان لليهود ومعنى ذلك أن هناك أغلبية ١٣ عضوا ضد ١٠ أعضاء.

وعندما فشل تشكيل المجلس التشريعي اقترحت الحكومة البريطانية إنشاء هيئة عربية تكون بمثابة الوكالة اليهودية ، ولها حقوقها، وقد رفض العرب هذا العرض؛ حتى لا يكون في قبولهم له اعتراف ضمني بوضع الوكالة اليهودية أو المساواة باليهود .

ثانيا: (الكتاب الأبيض الأول) في ١٩٢٢م:

أصدر وزير المستعمرات في الأول من (يوليه) عام ١٩٢٢ بياناً باسم الكتاب الأبيض لعام ١٩٢٢ محددة فيه سياستها التي ستنتهجها في فلسطين وحاول أن يفسر فيه وعد بلفور تفسيراً يطمئن العرب ، ولكنه خيب آمالهم ويلخص بما يلي:

« إن الحكومة البريطانية توكد ثانية تصريح بلفور الذي لا يقبل التغيير ، وسيؤسس في فلسطين وطن قومي لليهود ، ولكن ذلك لا يعنى أن تكون فلسطين برمتها وطناً قوميا لهم، وسيكون الشعب اليهودي موجوداً في فلسطين كحق من حقوقه ، ولكن حكومة جلالته لا ترمى إلى جعل فلسطين يهودية، كما أن إنجلترا إنجليزية ، وهي لا تفكر في إفناء الشعب العربي أو اللغة أو الثقافة العربيتين أو جعلهما في مرتبة ثانوية ، وإن حكومة جلالته تريد أن تعطي قسطاً كاملا من الحكم الذاتي في فلسطين وستكون خطوتها التالية تأسيس مجلس تشريعي في الحال تكون أكثرية أعضائه من المنتخبين ، وإن المركز الخاص الممنوح للجنة التنفيذية الصهيونية لا يخولها الاشتراك في إدارة البلاد.

أما بشأن الهجرة اليهودية فالحكومة ترى من الضروري زيادة عدد اليهود بالمهاجرة على شرط ألا تزيد على مقدار ما تستطيع مقدرة البلاد الاقتصادية استيعابه من المهاجرين الجدد ».

وعلى ذلك يمكن تلخيص ما ورد في الكتاب الأبيض الأول في الآتي:

١- إن حكومة جلالة الملك لا تتصور أن فلسطين كلها ستصبح يهودية مثل أن إنجلترا إنجليزية وكان هذا من باب التموية.

٢- إن تصريح بلفور غير قابل للتغيير، وأنه يعني أن وطنا قوميا لليهود يؤسس في فلسطين.

٣-من الضروري زيادة عدد الطائفة اليهودية بالمهاجرة.

٤- العمل على الارتقاء بفلسطين حتى تصبح مؤهلة كمركز للشعب اليهودي.

أما عن موقف العرب من هذا الكتاب الأبيض، فقد رفض العرب هذا الكتاب الذي أغفل حقوق الإنسان بالنسبة لعرب فلسطين، وأخذت حكومة الانتداب في تنفيذ ما ورد به من حيث فتح باب الهجرة أمام اليهود، وانتقال الأراضي إليهم حتى ولو كان ذلك باستصدار قوانين نزع الملكية، والتركيز على التحاق الشباب بالأراضي الزراعية والأعمال الحقلية وتحميل العربي بأعباء ضريبية ثقيلة تجعله يبيع أرضه.

وعلى ذلك يتضح أن إعلان بريطانيا للكتاب الأبيض الأول ١٩٢٢ محاولة تخفيف الإحراج الذي أصيب به الفرنسيون والبريطانيون بعد كشف اتفاقية سايكس بيكو ووعد بلفور، فجاء ليوضح بلهجة مخففة أغراض السيطرة البريطانية على فلسطين، إلا أن محتوى اتفاقية سايكس بيكو تم التأكيد عليه مجدداً في مؤتمر سان ريمو عام ١٩٢٠م، بعدها، ثم أقر مجلس عصبة الأمم وثائق الانتداب على المناطق في ٢٤ يونيو ١٩٢٢م.

ثالثا: صك الانتداب الفلسطيني ٢٤ يونيو ١٩٢٢م.

وفرت بريطانيا لنفسها غطاءً دولياً باستصدار قرار من عصبة الأمم في ٢٤ يوليو ١٩٢٢م بانتدابها على فلسطين، وصك الانتداب يقع في ثمان وعشرين مادة،

وتم تضمين وعد بلفور في صك الانتداب، بحيث أصبح التزاماً رسمياً معتمداً دولياً، غير أن فكرة الانتداب التي ابتدعتها عصبة الأمم، كانت قائمة على أساس مساعدة الشعوب المنتدبة وإعدادها لنيل استقلالها، وقد تضمن صك الانتداب نفسه على فلسطين مسؤولية الدولة المنتدبة (بريطانيا) في الارتقاء بمؤسسات الحكم المحلي، وصيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين.

لذلك لم تقتصر وثيقة الانتداب على إدماج وعد بلفور في مقدمتها فحسب بل تناولت – نصوصها كل ما يساعد على إنشاء الوطن القومي ، فالمادة الثانية تحدد مدى مسئولية بريطانيا عن الأحوال السياسية والاقتصادية والإدارية التي تكفل تحقيق الوطن القومي اليهودي كما أن المادة الرابعة تنص على الاعتراف بالجمعية الصهيونية كهيئة عمومية ، ومنحتها كـثيرا من الامتيازات الاقتصادية والسياسية والإدارية حتى عدت قوة لها شأنها في البلاد ، وكأنها دولة داخل الدولة، وتناولت المادة السادسة تنظيم الهجرة اليهودية إلى فلسطين وتيسيرها بإشراف الهيئة اليهودية ومساعدها وهذه الهيئة اليهودية هي التي أصبحت تعرف باسم " الوكالة اليهودية ".

كان تنفيذ وعد بلفور يعني عملياً الإضرار بمصالح أهل فلسطين وحقوقهم، وتعطيل بناء مؤسساتهم الدستورية باتجاه إقامة دولتهم، وقد فضلت بريطانيا دائما التزام الشق المتعلق بوعد بلفور، وأصمت آذانها ولم تحترم الشق المتعلق بحقوق أبناء فلسطين العرب الذين كانوا يمثلون نحو ٩٢% من السكان عند بداية الاحتلال، وربما أرادت بريطانيا من إيجاد نصوص متعلقة بحقوق الفلسطينيين إظهار نفسها بمظهر الحكم العادل بين الطرفين العربي واليهودي، وتشجيع الفلسطينيين على المطالبة بحقوقهم وفق أساليب مدنية "دستورية"، وعدم إغلاق كافة المنافذ أمامهم، بحيث لا يصلون إلى درجة الانفجار والثورة بسرعة، في الوقت الذي تقوم فيه

بالتسويف والمماطلة، ريثما يتم لها ترسيخ الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، ورغم ذلك بدأت بريطانيا تنفيذ هذه السياسة رسمياً في سبتمبر عام ١٩٢٣م وإن كان تنفيذها العملي قد بدأ في يوليه عام ١٩٢٠ م فأخذت الهجرات اليهودية تشد إلى فلسطين وتزداد عاما بعد عام ، حتى بلغ عدد الوافدين إليها منهم في ذلك الوقت ٥.٥٠٠ ارتفع عام ١٩٢٣م إلى ما يقرب من ٧.٤٠٠ مهاجر وازداد إلى ١٢،٨٠٠ مهاجر عام ١٩٢٤ م ، وفي العام التالي بلغ عددهم ٣٣،٨٠٠ مهاجر .

وتبين العرب تلك المؤامرة من بريطانيا والصهيونية على تهويد فلسطين ، وأن القصد من تهجير اليهود هو زيادة عددهم إلى الدرجة التي يفوقون بها العرب ويصبحون هم الأكثرية وتتم لهم السيطرة على البلاد تبعاً لذلك ، وعبر العرب عن قلقهم تارة بالاحتجاجات وتارة بتلك المصادمات التي كثيراً ما كانت تقع بينهم وبين اليهود، وكان من بين تلك الصدامات التي وقعت في القدس في موسم النبي موسى (٤-٨ أبريل ١٩٢٠م) أول اضطرابات في فلسطين إذ انقلب الموسم إلى تظاهر وطني عنيف أدى إلى الهجوم على اليهود والاصطدام بهم بالبوليس ووقع عدة قتلى وجرحى من اليهود والعرب.

وتألفت لجنة عسكرية للتحقيق ، فحققت وأعدت تقريراً عن أسباب تلك الاضطرابات، وبما أنه كان مليئاً بالحقائق التي لا ترضى الصهيونيين فإن المندوب السامي السير هربرت صموئيل منع نشره، ثم عُلم فيما بعد أن التقرير المذكور عزا الاضطرابات إلى : « يأس العرب من تحقيق الوعود التي قطعت لهم في أثناء الحرب بالاعتراف باستقلالهم ، واعتقادهم أن تصريح بلفور يتضمن عدواناً على حقوقهم في تقرير مصيرهم ، وخشيتهم أن يؤدى إنشاء الوطن القومي اليهودي إلى

تضخم الهجرة اليهودية تضخماً يسفر عن استعبادهم اقتصاديا وسياسيا من قبل اليهود، وما أدت إليه تصرفات اللجنة الصهيونية في فلسطين من استفزاز » .

وأرسل المدير العام الجنرال بولز إلى رئاسة الجيش في القاهرة تقريراً تحدث فيه عن اللجنة الصهيونية ورفضها الانقياد لأوامر الحكومة وكونها تتطلب المحاباة والتحيز لليهود وصعوبة التفاهم معها صعوبة لا تفوقها صعوبة، وقد أوصى في نهاية تقريره في سبيل السلام والتقدم وسبيل الصهيونيين أنفسهم أن تلغي اللجنة الصهيونية في فلسطين .

لم ينفع تقرير اللجنة وتقرير الحاكم العسكري في تغيير الوضع ، فأعلنت الحكومة البريطانية في يوليه ١٩٢٠ انتهاء الادارة العسكرية وتعيين إدارة مدنية كما ذكرنا من قبل.

ومن الاحداث الأخرى التي حدثت بين العرب واليهود كانت حين اندلعت في يافا ثورة جديدة في عام ١٩٢١ ، دامت ١٥ يوماً ، انقض فيها العرب على مركز المهاجرة الصهيوني حيث قتل بعض اليهود ، ثم هجم الثوار على بعض المستعمرات اليهودية بين يافا وطولكرم ، وكانت القوات العسكرية والبوليس في جانب اليهود ، فأسفرت المعارك عن مقتل نحو خمسين يهوديا وجرح نحو ١٥٠ يهودي ، وأما العرب فقد قتل منهم نحو خمسين وجرح نحو ٧٥ ، معظمهم بيد القوات العسكرية والبوليس فضلًا عن غرامات باهظة فرضتها السلطات على العرب ، وقد سارت في أثناء هذه الاضطرابات ، التظاهرات وانتشرت الاضطرابات في سائر بلاد فلسطين.

وتألفت لجنة للتحقيق برئاسة قاضي القضاة في فلسطين السير توماس ها يكرافت ، قامت بدرس أسباب الاضطرابات القريبة والبعيدة ، ثم قدمت في (أكتوبر)

١٩٢١ تقريرها إلى مجلس النواب البريطاني ، وفيه أرجعت اللجنة أسباب الاضطرابات إلى شعور القلق والتذمر والكره لليهود والاستياء من محاباة الحكومة لهم ، وخوف العرب على مصيرهم ، وسخطهم من حرمانهم استقلالهم ، وقالت اللجنة في التقرير : « إن شعور استياء العرب من اليهود والعداء لهم كان السبب الأساسي في اضطرابات يافا ، وهذا الاستياء ناشئ عن أسباب سياسية واقتصادية ، وله تعلق بالهجرة اليهودية وبالخطة الصهيونية كما يفسرها اليهود »، وأشارت اللجنة إلى تضامن الطوائف المسيحية كلها مع المسلمين في العداء لليهود ، وعددت بعد ذلك شكاوى العرب التي تعتقد اللجنة أن لها دخلًا عظيما في الاضطرابات ، وهذه الشكاوى تتعلق بكيفية إدارة فلسطين إدارة موجهة نحو تأسيس وطن قومي لليهود ، وليس لمنفعة جميع الفلسطينيين على السواء ، وإن حكومة فلسطين ، وفقاً لهذه الخطة ، قد مكنت الجمعية الصهيونية من أن تكون حكومة داخل حكومة » ، وقد أوصت اللجنة بوجوب عمل ما فيه تهدئة لقلق العرب وتطمينهم على حقوقهم ومركزهم ، وإفهام المهاجرين اليهود ، مهما كان ادعاؤهم التاريخي والديني ، أنهم إنما ينشدون وطناً لهم في بلاد أكثريتها الساحقة من العرب ، فيجب عليهم أن يتخذوا موقفاً منصفاً إزاء الشعب الذي يجب عليهم أن يعيشوا معه به بسلام .

ولم يكن لهذا التقرير أي تأثير في تغيير سياسة الحكومة وإصرارها على صون حقوق العرب لحساب الصهيونيين.

وفي ٢٤ من (يوليه) ١٩٢٣م تم توقيع معاهدة الصلح بين الحلفاء وتركيا في لوزان ، وذلك بعد ما أحبطت الثورة الكمالية معاهدة سيفر القاضية بتمزيق تركيا ، وقد تنازلت تركيا بموجب المادة ١٦ من معاهدة لوزان عن جميع حقوقها في

الأقطار المنسلخة عنها (أي البلاد العربية) على أن يتدبر مصيرها ذوو المصلحة فيها .

مضت فلسطين فترة سكون امتدت منذ عام ١٩٢١ ، ولكن تخللها بعض أحداث قد يكون أهمها اضطرابات وقعت في يافا في يناير ١٩٢٤م خلال احتفال اليهود بعيد المساخر وتزين بعضهم بزي المساخر وزي رجال الدين الإسلامي؛ مما استفز العرب وأدى إلى قتال أسفر عن سقوط عدد من القتلى والجرحى.

كما أن البلاد أضربت إضراباً شاملا يوم زار اللورد بلفور القدس لافتتاح الجامعة العبرية في مارس ١٩٢٥ ، وهي التي أقيمت على أرض عربية في جبل الزيتون انتزعتها السلطات من أيدى أصحابها العرب بالقوة أي بقانون نزع الملكية وأعطيت لليهود ، وقد غادر بلفور فلسطين إلى دمشق فتظاهرت في وجهه تظاهراً عنيفاً حمل السلطات الفرنسية على تكليفه الخروج مخفوراً إلى بيروت حيث ذهب إلى الميناء رأساً ليركب الباخرة عائداً إلى إنجلترا.

ومن الأحداث الكبرى التي حدثت بين العرب واليهود كان في عام ١٩٢٩م نتيجة لتعدي اليهود على حق العرب في (حائط البراق) وهو ملتصق بالمسجد الأقصى، في حرم قبة الصخرة التي جرت التقاليد الإسلامية على أنها المكان الذي عرج منه النبي (ﷺ) ليلة الإسراء إلى السماء، وهناك داخل ذلك الحائط من جهة ساحة الحرم غرفة يعتقد أنها المكان الذي ربط فيه البراق (فرس النبي) ليلة الإسراء فأصبح الحائط يعرف لدى المسلمين بالبراق ، وحائط المبكى يشكل، كذلك، جزءاً من الحائط الخارجي الغربي لهيكل اليهود القديم ، وقد اعتاد اليهود زيارته وإقامة الصلاة فيه ، وقضت المادة ١٣ من صك الانتداب ببقاء الحالة الراهنة في الأماكن المقدسة على ما هي عليه ، ولكن حصل أن جلب اليهود مساء ٢٣ (سبتمبر) ١٩٢٨

أدوات جديدة إلى المبكى، وأقاموا ستاراً يفصل بين الرجال والنساء ونفخوا في الصور ، فأثار هذا المسلمين ، وجعلهم يعتقدون أن الغاية الأخيرة لليهود هي استملاك المسجد الأقصى تدريجاً زاعمين أنه الهيكل ، مبتدئين بالجدار ، وقد ألفوا جمعية « حراسة المسجد الأقصى » ، وعقدوا عدة اجتماعات عامة في المسجد آلوا فيها على أنفسهم الدفاع عن البراق والمسجد ، وصدرت الأوامر الرسمية إلى اليهود بنزع الستار فلم يفعلوا فتولى البوليس رفعه ، فهاج هائجهم واشتد التوتر ، وسارت حشودهم في ١٥ أغسطس (يوم عيد الصيام) في موكب نحو الحائط حيث رفعوا العلم الصهيوني وأنشدوا نشيدهم الوطنى وهتفوا : « الحائط حائطنا » .

وفى اليوم التالى ، الجمعة ١٦ من أغسطس ، وكان يوم المولد النبوي ، خرج المسلمون من صلاة الجمعة من الحرم في تظاهر نحو البراق حيث قلبوا منضدة للشماس اليهودي وأحرقوا الاسترخامات التي اعتاد المصلون اليهود وضعها في ثقوب الحائط ، فزاد هذا في اشتداد التوتر ، وحدث أن طعن عربي في ١٧ من أغسطس يهوديا دخل حديقته طعنة أودت بحياته فكانت فاتحة اشتباكات واضطرابات ، لكنها أقرب إلى الفردية ، حتى كان يوم الجمعة التالي في ٢٣ من أغسطس حين غادرت الجموع الهائجة ساحة الحرم وقامت بهجوم على اليهود امتد إلى ضواحي المدينة ، وعم الهياج والتظاهرات فلسطين كلها ، فوقع هجوم على اليهود بالخليل في اليوم التالي أسفر عن مقتل أكثر من ستين يهوديا عدا الجرحى الكثيرين ، وهجم المتظاهرون على ثكنة البوليس في نابلس حيث سقط جرحى ، وامتدت الاضطرابات إلى بيسان وحيفا ويافا حيث اقتحم اليهود وعلى رأسهم شرطي يهودي رسمي بيت إمام مسجد فقتلوه هو وجميع أفراد عائلته الستة وبقروا بطنه وحطموا رؤوس زوجته وطفله وابن أخيه، كما هجم اليهود على مقام عكاشة في القدس فأتلفوه ودنسوا قبور الصحابة الكائنة فيه، وبلغت الاضطرابات ذروتها في ٢٩ من أغسطس حين وقع

الهجوم في صفد على اليهود حيث وقع نحو خمسين يهوديتا بين قتيل وجريح ، وقدرت السلطات الرسمية عدد الإصابات في نهاية الاضطراب بنحو ١٣٥ قتيل و٣٤٠ جريح من اليهود ، و ١١٦ قتيل و ٢٤٠ جريح من العرب ، وكانت معظم إصابات العرب بأيدي القوات العسكرية والبوليسي .

وقرر العرب مقاطعة اليهود ، ولكن السلطات نكلت بكل من حرض على المقاطعة أو أشرف على تنفيذها، وقد قامت في البلاد العربية تظاهرات تأييداً للعرب في فلسطين .

عينت الحكومة البريطانية لجنة تحقيق برئاسة قاضي ملقا السابق المستر شو وعضوية ثلاثة نواب في البرلمان البريطاني للتحقيق في الأسباب المباشرة التي أدت إلى الاضطرابات ووضع التواصى بالتدابير الواجب اتخاذها لمنع تكرارها فباشرت مهمتها في أواخر (أكتوبر) عام ١٩٢٩ واستمعت إلى شهود كثيرين من ممثلي السلطات الحكومية وكبار موظفي الإنكليز ومندوبي الهيئات العربية واليهودية ، وطافت في البلاد ثم غادرتها إلى لندن بعد شهرين من بدء مهمتها حيث قدمت تقريرها إلى وزير المستعمرات .

بسطت اللجنة في تقريرها حوادث الاضطرابات وشكاوى الصهيونيين وتظلمات العرب ومشكلتي الهجرة والأراضي والصعوبات التي تواجه تنفيذ صك الانتداب وحالة الدفاع والأمن في فلسطين وخلصت من ذلك كله إلى « أن السبب الأساسي ، الذي لولاه لما وقعت الاضطرابات ، هو شعور العرب بالعداء والبغضاء نحو اليهود شعوراً نشأ عن خيبة أمانيهم السياسية والوطنية وخوفهم على مستقبلهم الاقتصادي ، وأن الشعور السائد اليوم بين العرب يستند إلى خوفهم المزدوج من أنهم سيحرمون وسائل معيشتهم ويسيطر عليهم وأصبح العرب لا يرون في المهاجر

اليهودي خطراً على معيشتهم فقط ، بل يرون فيه ذلك الذي قد يسيطر على البلاد في المستقبل أيضاً » .

وذكروا أيضًا « أن حالة الشعور العام الذي نشأ عن الغموض في السياسة والاعتقاد بأن قرارات حكومة فلسطين يمكن أن تتأثر بالاعتبارات السياسية لمصلحة اليهود » وكانت خلاصة توصيات اللجنة : « إصدار بيان صريح جلى عن السياسة التي تنوى حكومة جلالته اتباعها في فلسطين تفسر فيه بجلاء المعنى الذي تعلق على أحكام صك الانتداب التي تنص على صيانة حقوق الطوائف غير اليهودية في تلك البلاد ، وتقترح اللجنة كتدبير عاجل « أن تعود الحكومة فتوكد بأن المركز الخاص" الذي أعطى للجمعية الصهيونية بموجب صك" الانتداب لا يخولها الاشتراك بأي درجة كانت في حكومة فلسطين ، وأن يوضع تفسير دقيق لمعنى المادة الرابعة من صك الانتداب المتعلقة بمهمة الوكالة اليهودية » ، وأوصت اللجنة الحكومة البريطانية « بأن تصدر تصريحاً جليا حازماً عن السياسة التي تريد اتباعها فيما يتعلق بتنظيم المهاجرة اليهودية إلى فلسطين ومراقبتها في المستقبل وإعادة النظر في النظم الإدارية المتبعة لتنظيم المهاجرة بغية منع تكرار المهاجرة الزائدة التي حصلت في الماضي ، واستنباط وسيلة أكثر مناسبة لتنظيم التصرف في شهادات المهاجرة التي تصدر بموجب جدول العمال ، واستنباط طريقة يمكن بواسطتها أخذ رأى الهيئات غير اليهودية في مسائل الهجرة »

وقد أصدرت المحاكم البريطانية في فلسطين أحكاماً بالإعدام، ثم حول الحكم عليهم إلى السجن المؤبد ماعدا ثلاثة منهم نفذ فيهم الحكم في سجن عكا في ١٧ من (يونيه) ١٩٣٠ فاستقبلوا الموت بشجاعة هاتفين لوطنهم ، كما حكمت على نحو (٨٠٠) عربي بالسجن سنوات عديدة ، أما اليهود فقد حكم على واحد منهم

بالإعدام ، وهو الشرطي قاتل العائلة العربية بيافا ، ثم خفض الحكم عليه إلى عشر سنوات قضى بعضها ثم أطلق، وقد فرضت الحكومة على بعض المدن العربية غرامات باهظة حصلتها بأساليب شتى.

ولذلك يتضح أنه لم تتوقف الصدامات الدموية إلا بعد تدخل القوات الانجليزية ، والحقيقة أنها تدخلت ضد العرب حتى سيطرت على الموقف، ولم تعامل اليهود إلا معاملة رقيقة.

رابعا: الكتاب الأبيض الثاني ١٩٣٠م :

على أثر انتهاء ثورة ١٩٢٩ وصدور تقرير لجنة شو انتخبت اللجنة التنفيذية وفداً للسفر إلى لندن فبلغها في ٣٠ من (مارس) ١٩٣٠ حيث اتصل برئيس الوزراء المستر مكدونالد وبوزير المستعمرات اللورد باسفيلد ، وقدم إليهما مذكرة بمطالب العرب في فلسطين ، وهي :

- وقف الهجرة وسن تشريع لمنع انتقال الأراضي التي في يد العرب إلى اليهود.
- وتأليف حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابي يشترك فيه أهل البلاد بنسبتهم العددية .

لكن الحكومة البريطانية رفضت تلك الطلبات « لأنها تتطلب تغييرات دستورية تعرقل عملها في التزاماتها بمقتضى الانتداب » ، وأبلغت الوفد أنها سترسل خبيراً لدراسة مسألتي الأراضي والهجرة ، وعلى أثر ذلك انقطعت المفاوضات وأبرق الوفد ، قبل عودته ، إلى فلسطين ومصر ببيان أكد فيه اقتناعه باستمرار الحكومة على هضم حقوق العرب إكراماً للسياسة الصهيونية مما يؤدى إلى « إبادتنا كأمة وإجلائنا

عن بلادنا ، وإن المسألة عندنا مسألة حياة أو موت ، وبما أن أهل البلاد العربية والإسلامية شركاء في فلسطين بات واجباً علينا أن نخطرهم بالحالة الخطيرة التي تهدد كيان بلادهم المقدسة وإخوانهم الساكنين فيها » ، ولكن الحكومة البريطانية ذاعت بياناً في ٢٠ من مايو ١٩٣٠ أكدت فيه أنها ستعمد إلى صيانة مصالح الطوائف غير اليهودية في فلسطين ، وعدم تعريضها هي ومستقبلها للخطر وأنها عملا بمشورة لجنة شو أوفدت السير جون هوب سمبسون الخبير العالمي في مسائل الإسكان والأراضي للتحقيق في مسألتي الهجرة والأراضي .

أصدرت الحكومة البريطانية بيانا عن خطتها السياسية، وهو كتابها الأبيض الثاني لعام ١٩٣٠م وأكدت أنها لن تتخلى عن التزاماتها في صك الانتداب الذي هو تعهد دولي لا يمكن العدول عنه ، وأنها لن تحيد بالضغط والتهديد عن النهج المبينة حدوده في صك الانتداب ، وتضمن الكتاب الآتي:

١-التأكيد على تنفيذ وتطبيق تصريح بلفور.

٢- رفض إقامة حكومة دستورية ديمقراطية على اعتبار أن ذلك يتنافى مع هدفها في تكوين فلسطين اليهودية، واقترحت الحكومة البريطانية تشكيل مجلس تشريعي من العرب واليهود.

٣- أوصت الحكومة البريطانية بفرض قيود على الهجرة اليهودية، ولكن دون أن تضع الوسائل اللازمة لتنفيذ هذه التوصية.

٤-انتقد الكتاب الأبيض تسلل أعداد ليست بالقليلة من اليهود إلى فلسطين بطرق غير مشروعة، ولكن لم تضع الحكومة الاجراءات اللازم تنفيذها لمنع هذا التسلل.

ومع أن الكتاب الأبيض كان يفتقد الحسم في القضايا التي أثارها، ومع أنه كان من المتعذر تنفيذ ما جاء فيه إلا بقرارات أخرى من الحكومة البريطانية، فقد اعتبره الصهيونيون تخليا من جانب بريطانيا عن القيام بما التزمت به نحو إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وظلوا وراء الحكومة البريطانية حتى أصدرت بيانات سحبت فيها كل ما وجد فيه الصهيونيون مساسا بمخططهم نحو فلسطين لليهود فقط.

في تلك الأثناء أخذت جموع اليهود تتدفق على فلسطين بسبب اضطهاد هتلر ونظام حكمه النازي لليهود، وكانت فلسطين هي الجهة المفضلة لدى اليهود الألمان، وخاصة أن الحكومة الانجليزية والوكالة اليهودية كانت تمد المساعدة بكل كثافة إلى المهاجرين لكي يستقروا في فلسطين، بل وقد أكد البرلمان الانجليزي أن تمليك فلسطين لليهود ما هو إلا سياسة راسخة بريطانية.

رد العرب على كتاب ١٩٣٠:

مع أن هذا الكتاب لا يحقق أماني العرب ويتمسك بنصوص الانتداب الممقوت ولم يبدل في جوهر السياسة البريطانية شيئاً، فإنه يوصى بتقييد انتقال الأراضي ويعترف بخطر الهجرة ويشير بتخفيفها أو وقفها ، وقد ردت اللجنة التنفيذية العربية عليه قائلة : « إن ما ورد فيه عن حقوق العرب الاقتصادية والاجتماعية لا يضمن للعرب حقوقهم القومية ومصالحهم الاقتصادية ، ومع ذلك فإنه إذا كان من شأنه أن يزيل بعض مخاوف العرب في الأراضي والهجرة والبطالة فلا يستطاع القول إنه أزالها حقيقة أو أزال بعضها بسبب ما عرف من مقدرة اليهود في نشر الدعايات المضلة ومن ضعف الحكومة إزاء هذه الدعايات وعلى الرغم من وعد الحكومة بأنها لن تحيد عن تنفيذ سياستها بالضغط أو التهديد ، وتوكيدها في الكتاب الأبيض أنه لا سبيل لأحد أن يضطرها إلى اتباع سياسة تكون لمصلحة جماعة دون أخرى، فإن

اللجنة تأسف لأن الحكومة البريطانية نقضت هذا الميثاق بكتاب اللورد باسفيلد وزير المستعمرات في ٦ من نوفمبر ١٩٣٠ إلى جريدة التايمس ، ففيه أنكر أن تشريعاً سيوضع لمنع اليهود من الاستمرار في تحقيق سياستهم المعروفة بالنسبة إلى الأراضي والأعمال »

أما عن موقف اليهود فلم يكد الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٠ يذاع حتى ثارت ثائرة اليهود وعبأوا قواهم للحملة على الكتاب الأبيض ، وسارت تظاهراتهم في سائر أنحاء العالم، وسخروا الصحافة الإنجليزية والأمريكية للتنديد به ، واستقال الدكتور وايزمان من رئاسة الوكالة اليهودية احتجاجاً وإعلاناً لعدم تعاونه مع الحكومة البريطانية، وقد أثرت هذه الحملة في الحكومة البريطانية فتراجعت ، فقد صدر بلاغ رسمي بريطاني يدعو أعضاء الوكالة اليهودية إلى المذاكرة معها حول شكوكها بأن ما ورد في الكتاب الأبيض مناقض لصك الانتداب وما نجم عن ذلك من سوء تفاهم.

وجرت المداولات بين الحكومة البريطانية والصهيونيين فأسفرت عن رسالة وجهها رئيس الوزراء المستر مكدونالد إلى الدكتور وايزمان في ١٧ من (فبراير) ١٩٣١ يوضح فيها بعض النقاط الغامضة في الكتاب الأبيض توضيحاً جاء تراجعاً ، بل نسخاً لأكثر ما ورد فيه ضارباً عرض الحائط، مما حمل العرب على تسميته ب (الكتاب الأسود).

وعلى ذلك ذهبت تحقيقات اللجان وتواصيها أدراج الرياح واسترسلت الحكومة البريطانية في سياستها ، فاستمر باب الهجرة مفتوحاً وانتقال الأراضي جارياً ، والبلاد محرومة أي مجلس اشتراعي ما دام اليهود لا يؤلفون أكثريتها ، ولم تكتف السلطات بذلك بل أخذت تغض الطرف عن تسلح اليهود على نطاق واسع حتى اكتشفت مصادفة حوادث تهريب ضخمة للسلاح في براميل عديدة من الأسمنت ، كما أن

الحكومة نفسها وزعت على بعض المستعمرات كمية كبيرة من البنادق بحجة استعمالها لقصد الدفاع في الأحوال الاضطرارية كما زعمت ، وأخذت تمرنهم على استعمالها بإرشاد ضباطها ، فأدى هذا إلى هياج عام وعقد مؤتمر في نابلس في ٣ من أغسطس ١٩٣١ قرر استنكار تسليح اليهود والاحتجاج عليه والتنبيه إلى خطره ومطالبة السلطات باسترداده دعت اللجنة التنفيذية العربية البلاد إلى الإضراب العام" في ٢٣ من أغسطس فأضربت إضراباً شاملا اشترك فيه شرقى الأردن ، وسار أعضاؤها في اليوم ذاته في تظاهر من مكتبها إلى سراي الحكومة حيث قدموا احتجاجهم ، وعقبت ذلك اصطدامات بالبوليس في نابلس وقع فيها جرحي من العرب وأصيب ضابط البوليس البريطاني بجروح في رأسه، كما جرت اعتقالات جمة.

خامسا: تشكيل اللجنة العربية العليا في ١٩٣٥م:

أدت سياسة الاستمرار على تهويد البلاد ، وتجاهل التقارير وخضوع السياسة الإنجليزية للصهيونيين ، إلى توجيه الكفاح الوطني نحو الإنجليز أولا باعتبارهم أصل الداء وأساس البلاء ، لأن بيدهم تعديل السياسة أو تبديلها ، وبقواتهم وسياستهم تهود البلاد، وقد عقدت في طول البلاد وعرضها اجتماعات شعبية هزت الرأي العام هذا عنيفاً واشتدت الدعوة إلى عدم التعاون مع السلطات ومقاطعة حفلاتها ولجانها وتحدى قوانينها .

تطلعت البلاد إلى عمل إيجابي تمردي فقررت اللجنة التنفيذية العربية القيام بتظاهر عام في القدس في يوم الجمعة الموافق ١٣ (أكتوبر) ١٩٣٣ ، على أن يسير أعضاؤها وزعماء البلاد في طليعتها مع عدم استئذان السلطات تحدياً لقانونها وعلى أن يرافق ذلك إضراب عام في فلسطين ، وقد بادرت السلطات إلى إذاعة بلاغ رسمي حظرت فيه القيام بأي تظاهر أو موكب منذرة بمعاقبة من يخالف ، ولكن هذا

كان حافزاً إلى الإصرار على تنفيذ القرار ، إذ خرج في الموعد تظاهر صاخب عنيف من الحرم بعد صلاة الجمعة ، اشترك فيه السيدات مع الرجال ، وكان تظاهراً عدائيا للإنجليز ومر بكنيسة القيامة ، ولما وصل إلى أحد أبواب السور أنذر البوليس المتظاهرين بالتفرق فأبوا ، فاستعمل القوة في تفريقهم ، فجرح بعض العرب ورجال البوليس، فأعلنت اللجنة التنفيذية أن تستمر البلاد التظاهر حتى تجيب السلطات المطالب الوطنية.

أدت تلك التطورات إلى تشكيل اللجنة العربية العليا في ١٩٣٥م للدفاع عن حقوق عرب فلسطين، وقدمت الزعامات العربية في ٢٥ نوفمبر ١٩٣٥م مذكرة طالبت فيها بما يلي:

١-تشكيل حكومة نيابية.

٢- إيقاف الهجرة اليهودية الشرعية منها وغير الشرعية.

٣- إصدار بطاقة شخصية لمواطني فلسطين حتى لا يدعيها من لا حق له فيها.

٤-منع انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود وسن قانون الأفدنة الخمسة على نسق قانون مماثل صدر في مصر يبقيها بعيدًا عن النزع أو المصادرة في كل الأحوال.

منذ عام ١٩٣٦ قامت الثورة الفلسطينية الكبرى واستمرت حتى العام ١٩٣٩م، ومن بداية عام ١٩٣٩م والثورة كانت ما زالت قائمة والجو الدولي ينذر بـالحرب فلجأت الحكومة البريطانية إلى محاولة جمع الطرفين العربي والصهيوني للتوصل إلى حل مقبول، وكانت بريطانيا فعلا تريد التوصل إلى حل حيث أن غيوم

الحرب العالمية الثانية كانت قد تلبدت ، ولم يكن حذر بريطانيا من توتر الحالة في فلسطين وحدها ولكنهم خافوا ما تجره مشكلة فلسطين من غصب العرب في وقت تنشد فيه عونهم لمواجهة احتمالات الحرب التي يمكن أن تشتعل في آية ساعة .

لذلك أرادت أن تشرك الدول العربية في حل مشكلة فلسطين، وأن تدعو العرب واليهود للتعاون معها على ذلك ، فدعت إلى مؤتمر يعقد بلندن بين العرب واليهود ووجهت الدعوة إلى مصر والمملكة العربية السعودية والعراق وشرق الأردن واليمن، ورفض عرب فلسطين حضور المؤتمر ما لم يمثلهم زعمائهم فاضطرت الحكومة البريطانية إلى فك أسر معتقلي سيشل على أن تكون إقامتهم خارج فلسطين.

وعقد المؤتمر في ٧ من فبراير عام ١٩٣٩م وعرف بمؤتمر المائدة المستديرة ورفض ممثلوا عرب فلسطين أن يجلسوا على مائدة واحدة مع ممثلي اليهود فكانت الاجتماعات تدور على حدة ، وانفض المؤتمر في ٢٧ مارس دون أن يصل إلى نتيجة ولذلك عجز المجتمعون حول المائدة المستديرة عن التوصل إلى اتفاق، فأصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض الثالث في ١٩٣٩م.

سادسا: الكتاب الأبيض الثالث ١٩٣٩م:

حاولت بريطانيا إيجاد مخرج سياسي عقب فشل مؤتمر المائدة المستديرة الذي انعقد في فبراير ١٩٣٩، في الوصول إلى نتيجة محددة، وهذا مهد الطريق أمام البريطانيين ليعلنوا وحدهم الحل الذي يرتؤونه، والذين قالوا إنهم سينفذونه بغض النظر عن رضي الطرفين، فأصدرت الحكومة البريطانية "الكتاب الأبيض الثالث" في مايو ١٩٣٩، بعد أن نالت موافقة البرلمان الإنجليزي بينت فيه أنها ترمى إلى

حكومة مستقلة في فلسطين ، تضم العرب واليهود وترعى مصالح الطرفين ، على أن ترتبط معها بمعاهدة تؤمن فيها مصالحها وحددت لإقامة هذه الحكومة عشر سنوات ، يمـارس فيها أهل فلسطين مسئوليات وسلطات أوسع تحت إشراف مستشارين من الإنجليز وتحت رقابة المندوب السامي الكتاب الأبيض الثالث ١٩٢٩م.

وقد جاء في الكتاب البيض الثالث الآتي:

١-التمسك بتصريح بلفور.

٢-تسهيل الهجرة اليهودية.

٣-تحديد عدد المهاجرين.

٤-قمع الهجرة غير المشروعة.

٥-إقامة حكم ذاتي يشارك فيه العرب واليهود تمهيدا لقيام دولة فلسطين.

٦-إسناد الوظائف الرئيسية إلى العرب واليهود على أساس نسبة عدد السكان من الطرفين.

٧-وضع قيود على انتقال الأراضي من أيدي العرب إلى اليهود.

وعلى ذلك فقد أقرت بريطانيا بشكل حاسم أنه ليس من سياستها أن تصبح فلسطين دولة يهودية، وأن ما تريده هو دولة فلسطينية مستقلة، يقتسم فيها العرب واليهود السلطة الحكومية، وأعلنت بريطانيا سعيها إلى إنشاء دولة فلسطينية خلال عشر سنوات، وأن الهجرة اليهودية في السنوات الخمس القادمة لن تزيد عن ٧٥ ألفاء ذلك تمنع إلا بإذن من العرب، وقررت حظر بيع الأراضي في بعض مناطق فلسطين، بينما يكون مقيدا في مناطق أخرى، ولم توافق معظم القيادة الفلسطينية على المشروع البريطاني؛ لشكها أساساً في الوعود والنوايا البريطانية، ولأنه ربط استقلال فلسطين بموافقة اليهود وتعاونهم، كما أنه لم يعد بإصدار عفو عام عن

الثوار، أو المصالحة مع زعيم فلسطين الحاج أمين، وفوق ذلك فإن الفلسطينيين رأوا أنه ليس من الحكمة الموافقة المبكرة على المشروع الذي يتضمن بعض التنازلات، وما دامت بريطانيا مصرة على تنفيذه على أي حال، فإن الزمن كفيل بكشف مدى جديتها، كما عارض اليهود بقوة وعنف المشروع البريطاني".

واعترض العرب على شرط المدة على اعتبار أنه سيبح لليهود زيادة مهاجريهم إلى فلسطين ، إن سراً أو علاية ، وكان هذا الشرط من أهم الأسباب التي أدت إلى رفض سياسة الكتاب الأبيض ، وتناول الكتاب الأبيض الهجرة اليهودية بالتحديد وسمح كما بشرط ألا يزيد العدد في النهاية على ثلث عدد سكان البلاد ، ولكن هذا الكتاب الأبيض لم يوضع موضع التنفيذ بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية واستخدام انجلترا القوة العسكرية الفائقة في إخماد ثورة الفلسطينيين، وأخذ الموقف الداخلي والخارجي يتغير لصالح الصهيونية.

وعلى أي حال، فقد عاشت فلسطين تحت الاحتلال البريطاني مؤامرة رهيبة، فحرم أهل فلسطين من بناء مؤسساتهم الدستورية وحكم أنفسهم، ووضعوا تحت الحكم البريطاني المباشر، وأعطي المندوبون السامون صلاحيات مطلقة، وضيقت بريطانيا على الفلسطينيين سبل العيش وكسب الرزق، وشجعت الفساد، وسعت لتعميق الانقسامات العائلية والطائفية وإشغال أبناء فلسطين ببعضهم، وفي المقابل شجعت الهجرة اليهودية، فزاد عدد اليهود من ٥٥ ألفا (٨% من السكان) عام ١٩١٨ إلى ٦٤٦ ألفا (٣١,٧% من السكان) عام ١٩٤٨، وبالرغم من الجهود اليهودية – البريطانية المضنية للحصول على الأرض، إلا أن اليهود لم يتمكنوا من الحصول سوى على نحو ٦% من فلسطين بحلول ١٩٤٨، كان معظمها إما أراض حكومية،

أو أراضي باعها إقطاعيون غير فلسطينيين كانوا يقيمون في لبنان وسورية وغيرها، وقد بني اليهود على هذه الأراضي ٢٩١ مستعمرة.

وفي الوقت الذي كانت السلطات البريطانية تسعي حثيثاً لنزع أسلحة الفلسطينيين، وتقتل أحياناً من يحوز سلاحاً ناريا، بل وتسجن لسنوات من يملك رصاصات أو خنجراً أو سكيناً طويلاً، فإنها غضت الطرف، بل وشجعت سرا تسليح اليهود لأنفسهم، وتشكيلهم قوات عسكرية وتدريبها، بلغ عددها عند اندلاع حرب ١٩٤٨ أكثر من ٧٠ ألف مقاتل (٦٤ ألف مقاتل من الهاغاناه Haganah، وخمسة آلاف من الأرغون، وألفين من شتيرن... وغيرها)، وهو عدد يبلغ أكثر من ثلاثة أضعاف الجيوش العربية السبعة عندما دخلت في حرب ١٩٤٨، وأسس اليهود الوكالة اليهودية عام ١٩٢٩، والتي تولت شؤون اليهود في فلسطين، وأصبحت أشبه بدولة داخل دولة لما تمتعت به من صلاحيات واسعة ، وأقام اليهود مؤسسات اقتصادية واجتماعية وتعليمية ضخمة، شكلت بنية تحتية قوية للدولة اليهودية القادمة، فتأسس اتحاد العمال (الهستدروت Histadrut) وافتتحت الجامعة العبرية بالقدس عام ١٩٢٥وهكذا، فإن الظلم والشهر والمحاباة كان السمة الأبرز للاستعمار البريطاني لفلسطين.

الفصل الثالث

الحركة الوطنية الفلسطينية

الحركة الوطنية الفلسطينية:

بالرغم من حالة الإنهاك التي خرج بها الفلسطينيون من الحرب العالمية الأولى، وبالرغم من وقوع البلاد العربية من حولهم والعالم الإسلامي بشكل عام، تحت سطوة الاستعمار ، وبالرغم من ضعف إمكاناتهم المادية، وانعدام أدوات الضغط والنفوذ السياسي لديهم، مقارنة بما حظي به المشروع الصهيوني من دعم يهودي عالمي، ومن رعاية القوى العظمى له، بالرغم من ذلك كله، فإن التمسك بحقهم الكامل في فلسطين، والإصرار على استقلالهم مهما كلف الثمن، كانت السمة الأبرز لنشاطهم السياسي الجهادي طوال فترة الاحتلال البريطاني.

وقد تمحور النشاط السياسي الفلسطيني حول مطالب محددة شكلت الأسس لنشاط الحركة الوطنية الفلسطينية، أبرزها:

- إلغاء وعد بلفور لما يتضمنه من ظلم واجحاف بحقوق الأغلبية الساحقة من السكان.
- إيقاف الهجرة اليهودية.
- وقف بيع الأراضي لليهود.
- إقامة حكومة وطنية فلسطينية منتخبة عبر برلمان (مجلس تشريعي) يمثل الإرادة الحقيقية الحرة للسكان.
- الدخول في مفاوضات مع البريطانيين لعقد معاهدة تؤدي في النهاية إلى استقلال فلسطين.

وبرز في قيادة الحركة الوطنية رئيس اللجنة التنفيذية للمؤتمر الفلسطيني موسي كاظم الحسيني الذي استمر في الزعامة الرسمية للحركة الوطنية حتى وفاته في مارس ١٩٣٤.

غير أنه من الناحية الفعلية برز اسم الحاج أمين الحسيني، الذي أصبح مفتي القدس عام ١٩٢١، ورئيس المجلس الإسلامي الشرعي الأعلى منذ تأسيسه عام ١٩٢٢، والذي غدا أهم قلعة للحركة الوطنية والقوة الدافعة خلفها، وبوفاة موسى كاظم الحسيني، أصبح السابع أمين زعيم فلسطين دون منازع حتى نهاية الاستعمار البريطاني عام ١٩٤٨.

أولا: الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨-١٩٢٩:

ركزت الحركة الوطنية الفلسطينية خصوصاً خلال الفترة ١٩١٨-١٩٢٩ على المقاومة السلمية للمشروع الصهيوني، ومحاولة إقناع بريطانيا بالعدول عن وعد بلفور، وقد كان لا يزال لديها بقايا أمل في ذلك، خصوصا وأن البريطانيين كانوا حلفاء الشريف حسين خلال الحرب العالمية الأولى، كما أن المشروع الصهيوني لم يكن قد حقق بعد أية نتائج عملية ذات أبعاد خطيرة على الوضع في فلسطين، فضلاً عن أن القيادة الفلسطينية لم تكن ترى أن الفلسطينيين يملكون الوسائل البديلة المكافئة التي تمكنهم من فرض إرادتهم على البريطانيين، كما أن القيادة نفسها لم تكن تملك العزيمة والإرادة والتماسك لتحدي البريطانيين بوسائل أكثر عنفا، ولعبت قلة الخبرة السياسية، والتنافس العائلي على القيادة (الحسينية والنشاشيبية)، والذي أسهم البريطانيون في تأجيجه، دوره في إضعاف الحركة الوطنية الفلسطينية، غير أن هذا لم يؤثر بشكل عام على الموقف المبدئي الفلسطيني من المشروع الصهيوني والاستعمار البريطاني، ومن المطالب السياسية العامة للحركة الوطنية.

ويلاحظ أن نشاط العرب في فلسطين خلال العشرينيات كان يجرى في قنوات رئيسية عدة ، فهناك المؤتمرات والوفود والأحزاب والاضطرابات ، وقد عقد الفلسطينيون سبعة مؤتمرات حتى عام ١٩٢٨، أقام الفلسطينيون مؤتمرهم الأول (المؤتمر العربي الفلسطيني١/٢٧- ٢/١٠ /١٩١٩) في القدس، فرفض تقسيم بلاد الشام وفق المصالح الاستعمارية، وعد فلسطين جزءا من سورية (بلاد الشام)، وطالب باستقلال سورية ضمن الوحدة العربية، وتشكيل حكومة وطنية تمارس الحكم في فلسطين.

وبذلك يظهر النشاط الفلسطيني خلال تلك الفترة مرتبطا بفكرة الوحدة العربية، ومن يتابع تلك الأنشطة عقب ذلك يجد أن الاتجاه القومي يتوارى بينما تظهر ملامح الاقليمية ، ففي المؤتمر العربي الفلسطيني الثالث الذي عقد في ديسمبر ١٩٢٠ وجدت الحركة الوطنية المحلية وأصبح لعرب فلسطين هدفهم الخاص ، فقد طالب الوطنيون المحليون لأول مرة بعد الاحتلال بتأسيس حكومة وطنية في فلسطين تكون مسئولة أمام مجلس نيابي، ولا نرى في قرارات المؤتمر شيئا متعلقا بالفكرة العربية سوى قرار قومي غير مباشر « عدم فصل فلسطين عن أخواتها البلاد العربية المجاورة لها » ؛ مما يوضح حرص المؤتمرين على التعلق بفكرة الوحدة العربية لا على المطالبة بتحقيقها .

ونرى في المؤتمر الفلسطيني الرابع (٢٥ يونيه ١٩٢١) اشارة في الموضوعات المطروحة على المؤتمر الى « مطالبة عصبة الأمم بالوحدة السورية » لا الوحدة العربية.

وفي المؤتمر الفلسطيني الخامس الذي أقيم في (٢٢ أغسطس ١٩٢٢) وضع المؤتمرون ميثاقاً وطنياً أقسموا اليمين التالي على الالتزام به : "نحن ممثلي

الشعب العربي الفلسطيني في المؤتمر العربي الفلسطيني الخامس المعقود في نابلس، تتعهد أمام الله والتاريخ والشعب على أن تستمر في جهودنا الرامية إلى استقلال بلادنا، وتحقيق الوحدة العربية بجميع الوسائل المشروعة، وسوف لا تقبل بإقامة وطن قومي يهودي أو هجرة يهودية"، ونرى في هذا الميثاق الوطني الذي وضعه المؤتمر عودا الى الفكرة العربية ، ولعل ذلك كان نتيجة لأن هذا المؤتمر كان أول مؤتمر فلسطيني يعقد بعد موافقة عصبة الأمم على الانتداب.

لكننا لا نجد في المؤتمر الفلسطيني السادس الذي عقد في يافا (١٦ يونيه ١٩٢٣) قرارات صريحة عن استقلال فلسطين أو رفض الانتداب أو عن ارتباط فلسطين بالفكرة العربية ، بل نجد تأييدا من المؤتمر للنضال السوري ومطالبة باستقلال سوريا دون ربط فلسطين مها ، ولعل أهم ما أنجزه المؤتمر هو رفضه لمشروع المعاهدة العربية البريطانية التي كان مزمعا عقدها بين الملك حسين وحكومة بريطانيا على أساس « مخالفته للعهود المقطوعة للعرب ولحقوق الشعب الفلسطيني » ويرجع ذلك الضعف الذي تميزت به قرارات المؤتمر الى عدد من العوامل أبرزها ذلك الصراع الحزبي الذي كان دائرا بين القوى المختلفة قبيل انعقاد المؤتمر والذي انعكست آثاره على قرارات المؤتمر.

ونجد في المؤتمر الفلسطيني السابع (٢٠ يونيه ١٩٢٨) صورة مماثلة لما حدث في المؤتمر السادس حتى أن المؤتمر لم يتعرض في قراراته التصريح بالفور أو للهجرة اليهودية الى فلسطين أو لقضية انتقال الأراضي من العرب بل ركز على المطالبة بتأسيس حكومة وطنية ديمقراطية، ولقد حدث أن اقترح بعض أعضاء المؤتمر وقف أعماله ثلاث دقائق حدادا على سعد زغلول وعلى زعماء الثورة السورية الذين قضوا مجاهدين في سبيل الاستقلال فلم يوافق على هذا الاقتراح حتى لا

تغضب الحكومة من ذلك لما فيه من ربط البلاد العربية بأواصر الوحدة والقومية ، واكتفى بتحية المجلس التأسيسي بسورية وشكر الوفد السوري في أوروبا.

ومن الناحية السياسية، أرسلت القيادة الفلسطينية وفدها الأول إلى لندن في يوليو ١٩٢١، الذي التقي وزير المستعمرات ونستون تشرشل Winston Churchill وعدداً من المسؤولين، لكن جهوده لم تلق آذانا صاغية من الحكومة البريطانية، وإن كان نجح في دفع مجلس اللوردات البريطاني بإصدار قرار برفض وعد بلفور.

ومن جهة أخرى، أفشل الفلسطينيون محاولة بريطانية لتشكيل مجلس تشريعي في فلسطين عام ١٩٢٣ منزوع الصلاحية الفعلية، ولا يمثل بشكل صحيح سكان فلسطين ، ولقيت زيارة بلفور لفلسطين عام ١٩٢٥ احتجاجات عامة، وتمت مقاطعته، ونفذ اضراب شمل كل فلسطين.

وأما عن الأحزاب الفلسطينية خلال فترة العشرينيات، فقد كان أبرزها الحزب الوطني والأحزاب الزراعية وحزب الأهالي، فالحزب الوطني هو أول حزب عربي يتشكل خلال الانتداب البريطاني وقد كونته جماعة النشاشيبي في نوفمبر ١٩٢٣ ، وهي الجماعة التي قادت ذلك الاتجاه المناوي، للحركة الوطنية والمتعاون مع الادارة المنتدبة .

وأما الأحزاب الزراعية فقد تأسست عام ١٩٢٤ بتوجيه من الادارة المنتدبة بهدف مقاومة قيادة الحركة الوطنية ، وكانت تضم في عضويتها الوجهاء ومشايخ القرى .

وأما حزب الأهالي فقد تكون أواخر أبريل ١٩٢٥، وكان عبد اللطيف صلاح أبرز أعضائه ، وكانت الغاية من انشائه نشر المبادئ الديمقراطية بين الأهالي واتخاذ التدابير العملية لتحقيق الاستقلال السياسي التام.

ولا نجد في مبادئ تلك الأحزاب أية بنود متعلقة بالفكرة العربية ، ولعل ذلك كان أمرا طبيعيا ؛ فالحزب الأول كان مسايرا لسياسة الانتداب ، والأحزاب الزراعية كانت مكونة بتوجيه من الادارة المنتدبة ، والحزب الثالث كان يهدف الى الحفاظ على المصالح العائلية بالدرجة الأولى .

ولعل ذلك العرض لمؤتمرات عرب فلسطين ووفودهم الى الخارج واضطراباتهم وأحزابهم يوصلنا إلى نتيجة هامة وهي أن الوحدة أو الاتحاد تقومان من علاقة التحرر الوطني بالفكرة القومية ، بينما التفتت والتجزئة تضعفان من علاقه التحرر الوطني بالفكرة القومية .

وخلال الفترة نفسها (١٩١٨-١٩٢٩) وقعت ثلاث ثورات عبرت بشكل قوي عن الغضب الشعبي العارم من المشروع الصهيوني، غير أنها وجهت غضبها ضد اليهود، وحاولت تجنب البريطانيين (بسبب العوامل المشار إليها سابقاً)، لكن الدور الأساسي في قمع هذه الثورات كان للبريطانيين فكانت ثورة موسم النبي موسى في ٤ -١٠ أبريل ١٩٢٠ في القدس التي أدت إلى مقتل خمسة يهود وجرح ٢١١ آخرين، ومقتل أربعة عرب وجرح ٢٤ آخرين، وثورة يافا في ١-١٥ مايو ١٩٢١ التي اندلعت في يافا ، وشملت أجزاء من شمال فلسطين، وأدت إلى مقتل ٤٧ وجرح ١٤٦ يهوديا، بينما قتل ٤٨ وجرح ٧٣ عربيا؛ وثورة البراق التي تصاعدت أحداثها منذ ١٥ أغسطس واستمرت حتى ٢ سبتمبر ١٩٢٩م، وقد خاضها المسلمون دفاعا عن حائط البراق (الحائط الغربي للمسجد الأقصى المبارك) ضد الاعتداءات

اليهودية، وانتشرت الثورة في كافة أرجاء فلسطين، وأدت إلى مقتل ١٣٣ وجرح ٣٣٩ يهودياً، وقتل ١١٦ عربياً وجرح ٢٣٢ آخرين، وفي الثورات الثلاث حدثت معظم إصابات اليهود على أيدي العرب، أما معظم إصابات العرب فوقعت على أيدي القوات البريطانية والشرطة.

وقد كان للحاج أمين الحسيني مفتي القدس دور أساسي سري في ثورة موسم النبي موسى وثورة البراق ، أما القيادة السياسية الرسمية الفلسطينية فقد ظلت متمسكة بالأساليب السلمية، بل وسعت إلى تهدئة مشاعر الغضب واستيعابها، ومن المهم الإشارة إلى أن الثورات الثلاث قد اتخذت طابعاً إسلامياً أسهم في تأجيج المشاعر الوطنية وتفجيرها ضد المشروع الصهيوني".

ثانيا: الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٢٩- ١٩٣٩:

كانت ثورة البراق عام ١٩٢٩ فاتحة لعقد تصاعدت فيه المقاومة الجهادية العنيفة للمشروع الصهيوني وللاستعمار البريطاني على حد سواء، وقد وصلت ذروتها في الثورة الفلسطينية الكبرى (١٩٣٦- ١٩٣٩)، فقد أخذت تتكرس خطورة المشروع اليهودي – الصهيوني خصوصاً إثر هجرة أكثر من ١٥٢ ألف يهودي خلال الفترة ١٩٣٠-١٩٣٥، مما ضاعف عدد اليهود الذين كان عددهم في منتصف عام ١٩٢٩ حوالي ١٥٦ ألفاً، وكان الكثير من المهاجرين الجدد من المانيا، من رجال الأعمال وأصحاب الأموال والتجارة ومن العلماء المتخصصين، كما تمكن اليهود في الفترة نفسها (١٩٣٠-١٩٣٥) من الاستيلاء على ٢٢٩ ألف دونم من الأراضي الفلسطينية، وهرب اليهود كميات ضخمة من الأسلحة كشفت حالتان منها في مارس ١٩٣٠م، وفي ١٦ أكتوبر ١٩٣٥م.

وتميز النصف الأول من الثلاثينيات بازدياد النشاط السياسي والتفاعل الوطني مع الأحداث، وتوجيه العداء بشكل مباشر وواسع ضد السلطات البريطانية باعتبارها أصل الداء، وأساس كل بلاء.

وتشكلت في هذه الفترة الأحزاب الفلسطينية، وكان "حزب الاستقلال" أولها ظهوراً في أغسطس ١٩٣٢، وأسهم بشكل كبير في توجيه العداء ضد بريطانيا، لكنه ضعف منذ منتصف ١٩٣٣.

أما الحزب العربي الفلسطيني الذي ظهر في مارس ١٩٣٥ فقد أصبح الحزب الشعبي الأول، وحظي بدعم المفتي (الحاج أمين) وبدعم الجماهير"، ونشطت في الفترة نفسها جمعيات الشبان المسلمين، والحركات الكشفية ونشأت وتطورت تنظيمات سرية عسكرية جهادية مثل حركة "الجهادية" بقيادة عز الدين القسام، و"منظمة الجهاد المقدس" بقيادة عبد القادر الحسيني (والإشراف السري للحاج أمين)، كما ظهرت مجموعات ثورية أصغر دخلت في صدامات مبكرة مع السلطة مثل "الكف الأخضر".

لقد فقد الفلسطينيون في هذه الفترة أملهم في الحصول على حقوقهم بالوسائل السلمية والقانونية، وعلق الحاج أمين الحسيني على تلك المرحلة قائلاً : "كنا ما نزال حتى عام ١٩٣٢ على شيء من الأمل، ولكنه زال مع الزمن، كل عذابنا... كل آلامنا بعناية، لم يكن أمامنا غير الشهادة".

وأشارت مذكرة لمدير قسم المخابرات في شرطة فلسطين إلى أن "الشعور المتزايد بالسخط ضد الانتداب البريطاني والإدارة وسط كل الطبقات .... وأن العرب، الذين أملوا بأن بريطانيا سوف تحقق لهم العدل، قد أصيبوا باليأس".

وقد أسهم في تكريس القناعات المعادية لبريطانيا وانتشارها فشل مهمة الوفد العربي الفلسطيني إلى لندن برئاسة موسى كاظم الحسيني في ربيع ١٩٣٠م وعدم تنفيذ توصيات جون هوب سمبسون John Hope Simpson خبير الإسكان والأراضي ، الذي كلفته الحكومة البريطانية بدراسة الوضع في فلسطين، والذي استنتج بعد دراسة دقيقة أنه لا توجد أراض إضافية يمكن إعطاؤها للمهاجرين اليهود، وأوصى بخفض الهجرة اليهودية أو وقفها "، وزاد من تفاقم الوضع نكوص الحكومة البريطانية من تنفيذ توجهاتها التي أعلنتها في "الكتاب الأبيض" في أكتوبر ١٩٣٠ الذي وعد بضبط الهجرة اليهودية، ثم إصدارها "الكتاب الأسود" في فبراير ١٩٣١ الذي أكد التزامات بريطانيا تجاه المشروع الصهيوني، ومسح عملياً ما جاء في الكتاب الأبيض".

واستطاع أبناء فلسطين في تلك الفترة أن يجددوا البعد العربي والإسلامي لقضية فلسطين وينشطوه، فنقلت التقارير في مايو ١٩٣١ وجود مخطط ثوري جهادي يستهدف إنقاذ البلاد العربية وخصوصا فلسطين وسورية، وأن الأمير شكيب ارسلان (وهو إسلامي لبناني) كان زعيم هذه الحركة، ويشترك معه في المخطط الحاج أمين الحسيني ومولانا شوكت علي الزعيم الهندي المعروف، وكان على اتصال بزعماء الحركات العربية في الجزيرة العربية والعراق والشام ومصر، لكن المخطط لم يكتب له النجاح.

وفي ٧-١٧ ديسمبر ١٩٣١م انعقد في القدس المؤتمر الإسلامي العام برئاسة الحاج أمين الحسيني، وبحضور مندوبين عن ٢٢ بلداً، وتكرس فيه البعد الإسلامي لقضية فلسطين، التي أصبحت قضية مركزية للعالم الإسلامي، وحضره علماه وشخصيات إسلامية كبرى مثل الشيخ محمد رشيد رضا، والمفكر الهندي

الشاعر "محمد إقبال"، والزعيم الهندي شوكت علي، والزعيم التونسي عبد العزيز الثعالبي، ورئيس وزراء إيران السابق ضياء الدين الطبطبائي، والزعيم السوري شكري القوتلي، ... وغيرهم.

وقد صدرت العديد من القرارات العملية كإنشاء جامعة إسلامية، وتأسيس شركة لإنقاذ الأراضي، وتشكيل لجان لفلسطين في مختلف البلدان .

لكن وقوع معظم بلدان العالم الإسلامي تحت الاستعمار، وإصرار البريطانيين على إفشال أي من المشاريع العملية أدى إلى تعطيل العمل بمعظم هذه القرارات، وتزايد دور علماء المسلمين الفلسطينيين بانعقاد مؤتمرهم الأول في ٢٥ يناير ١٩٣٥، وإصدارهم فتوى بتحريم بيع الأرض لليهود، وتكفير من يرتكب ذلك، ثم قيامهم بحملة توعية كبرى في فلسطين".

ومن جهة أخرى، فإن المقاومة الجهادية تمثلت في البداية في منظمة الكف الأخضر، التي ظهرت إثر ثورة البراق في شمال فلسطين بزعامة أحمد طافش، وقامت بعمليات ضد اليهود والبريطانيين، لكن الحملة البريطانية المكثفة ضدها أدت إلى القضاء عليها في فبراير ١٩٣٠، والقبض على زعيمها.

وفي أكتوبر ١٩٣٣ صعدت القيادة السياسية الفلسطينية معارضتها، وأقامت مظاهرتين كبيرتين في القدس١٣-١٠ ، وفي يافا في٢٧-١٠ ، شارك فيها الزعماء بأنفسهم، وانطلقت المظاهرة الأولى من المسجد الأقصى، أما الثانية فانطلقت بعد صلاة الجمعة من يافا، وأضربت فلسطين في هذين اليومين، وحاولت السلطات منع المظاهرات بالقوة؛ مما أدى إلى مقتل ٣٥ وجرح ٢٥٥ عربياً، وقد اتسعت المظاهرات وزادت عنفا في حيفا والقدس ونابلس وبئر السبع وغيرها؛ مما أدى لسقوط المزيد من

الضحايا مدة سبعة أيام، واعتقلت السلطات البريطانية ١٢ زعيماً فلسطينياً، بينهم ثلاثة من أعضاء اللجنة التنفيذية، وأصيب موسى كاظم الحسيني في أثناء مظاهرة يافا بكدمات أغمي عليه على إثرها، وذكر أنه توفي في مارس ١٩٣٤ متأثراً بهذه الإصابة، وهو في الـ ٨١ من عمره.

أما (حركة الجهادية) فقد أسسها الشيخ عز الدين القسام، وتعود بجذورها إلى عام ١٩٢٥. وهي حركة سرية جهادية، اتخذت الإسلام منهجاً، وكان شعارها "هذا جهاد، نصر أو استشهاد" وانتشرت في شمال فلسطين، خصوصا بين العمال والفلاحين، وأمكن لها تنظيم ٢٠٠ رجل، بالإضافة إلى ٨٠٠ من الأنصار، وقامت سرا بالمشاركة الجهادية في ثورة البراق، ثم نفذت بعض العمليات خلال النصف الأول من نوفمبر ١٩٣٥، واستشهد الشيخ القسام واثنان من رفاقه في أول مواجهة مع الشرطة في معركة أحراش يعبد في ٢٠ نوفمبر١٩٣٥، ولم تكن هذه نهاية الحركة، فقد تولى القيادة الشيخ فرحان السعدي، وكان لها دور رائد عظيم في الثورة الكبرى (١٩٣٦- ١٩٣٩).

ثالثا: الثورة الفلسطينية الكبرى ١٦٣٦-١٩٣٩م:

كانت الثورة الكبرى من أعظم الثورات في تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر، وقد قامت للعديد من الأسباب أهمها:

- سياسة بريطانيا في حشد المهاجرين اليهود؛ لجعلهم أكثرية عددية، فقد اشتدت الهجرة اليهودية دون أن تقوم سلطة الانتداب باتخاذ إجراء ضدها فقد بلغ عده المهاجرين عام ١٩٣١م ما يقرب من ٤٠٠٠ مهاجر قفز إلى

الضعف عام ١٩٣٣م، وفى العالم التالي وصل إلى ٤٦,٠٠٠ مهاجر وإلى ٦٢,٠٠٠ مهاجر عام ١٩٣٥م.

- تشجيع السلطات البريطانية على انتقال الأراضي إلى أيدي اليهود .
- ظلت البلاد تحكم حكما استعماريًا مباشرًا دون الاكتراث بالعرب ومطالبهم.
- تمادي اليهود في تسليح اليهود، ولم تتخذ السلطات البريطانية أي تدابير في هذا الشأن.
- يأس العرب من العدالة البريطانية وتحيز حكومة فلسطين لليهود وفشل اللجان التي اقترحتها الحكومة البريطانية لتحقيق أسباب ثورة العرب ورفض المطالب التي تقدموا بها ، وتتلخص في وقف الهجرة ومنع بيع الأراضي لليهود وقيام حكومة دستورية في فلسطين .

أما عن الأسباب المباشرة للثورة، فكان تأليف عصابة سرية في حيفا برئاسة أحد العلماء الشيخ عز الدين القسام هدفها الجهاد عن طريق الفتك بالإنجليز فقتلت شاويشًا بريطانيا في بيسان ، وانتقلت العصابة إلى أحراش يعبد قرب مدينة جنين ، وفي ١٩ من نوفمبر ١٩٣٥ قتل أحد أفرادها حين كان يراقب الطريق ، وفي فجر اليوم التالي طوقت قوات بريطانية ضخمة تلك الأحراش تساعدها طائرات استكشافية، وبعد قتال استمر حتى العاشرة صباحاً انتهت المعركة باستشهاد الشيخ عز الدين القسام وأربعة من رفاقه والقبض على أربعة آخرين بينهم جريح ، وبقتل جندي بريطاني وجرح بريطانيين جراحاً بالغة ، أصدرت السلطة بلاغاً بالحادث نعت فبه القسام وصحبه بالأشقياء ، ولكن الأمة احتفلت في حيفا بتشييع جنازاتهم احتفالاً عظيما جدا جرت في أثنائه مع قوة بريطانية مناوشة أدت إلى ارتدادها وتحطيم نوافذ دائرة البوليس وأبوابها ، وقد هز هذا الحادث البلاد هزا عنيفاً وكهربها ، فيصح اعتباره مقدمة لثورة ١٩٣٦ .

وقد تفجرت الثورة في ١٥ أبريل ١٩٣٦م على يد مجموعة قسامية بقيادة الشيخ فرحان السعدي، قامت بقتل اثنين من اليهود ثم تفاعلت الأحداث، وحصلت ردود فعل غاضبة متبادلة بين العرب واليهود، وأعلن أبناء فلسطين الإضراب العام في ٢٠ أبريل، وتم توحيد الأحزاب العربية، وتشكيل اللجنة العربية العليا (التي تولى رئاستها الحاج أمين الحسيني بنفسه) في ٢٥ أبريل، وقامت اللجنة بالإعلان من الإصرار على الاستمرار في الإضراب حتى تحقيق المطالب الفلسطينية في إنشاء حكومة فلسطينية مسؤولة أمام برلمان منتخب، ووقف الهجرة اليهودية، ومنع بيع الأراضي لليهود، واستمر الإضراب ١٧٨ يوماً (حوالي عام أشهر) ليكون أطول إضراب في التاريخ يقوم به شعب بأكمله ورافق الإضراب ثورة عارمة عمت كل فلسطين.

وقد استخدمت حكومة الانتداب أشد أنواع البطش من قصف بالطائرات، وهدم بيوت المجاهدين، وتطبيق العقاب الجماعي على القري، ومع ذلك استمرت الثورة واقتربت نذر الحرب العالمية الثانية، فلجأت الحكومة البريطانية إلى ملوك العراق والسعودية والأردن لكي ينصحوا الثوار بالتوقف عن الثورة والتباحث مع لجنة بيل الإنجليزية التي أرسلتها الحكومة الإنجليزية إلى فلسطين.

لذلك لم تتوقف المرحلة الأولى من الثورة إلا في ١٠ ديسمبر ١٩٣٦، بناء على نداء ملوك وأمراء العرب، وتهيئة لقدوم لجنة تحقيق ملكية بريطانية (لجنة بيل Peel Commission) لتدرس الوضع وللتحقيق في أسباب الثورة، والنظر في مطالب أهل فلسطين من العرب واليهود ، بشرط أن يستجيب الثوار للهدوء ، ولكن الثورة ازدادت عنفا ورفضت الهيئة العربية الدعوة إلى الهدوء ، ولكن بعد توسط ملكي العراق والسعودية وأمير شرق الأردن، رجعت عن إصرارها ، فأبحرت اللجنة

إلى فلسطين في ٥ من نوفمبر عام ١٩٣٦م وفي اليوم نفسه أعلنت وزارة المستعمرات قبول مهاجرين جدد خلال ستة أشهر قادمة بمعدل ١,٨٥٠ مهاجر كل شهر وأدى ذلك إلى مقاطعة لجنة بيل ، ولكن بعد وساطة الملوك مرة أخرى توقف القتال وتباحث زعماء عرب فلسطين مع اللجنة وقامت الهيئة العربية بعرض مطالبها، ولكن تحيزت اللجنة إلى جانب اليهود، فقد صدرت توصيات هذه اللجنة في مطلع يوليو ١٩٣٧، واقترحت تقسيم فلسطين بين العرب واليهود.

وقد انتهت لجنة بيل من تحقيقها باقتراح التقسيم فيكون السهل الساحلي لليهود والمنطقة الداخلية للعرب على أن تدمج في شرق الأردن وتكون معها دولة واحدة ، وترتبط كل من دولتي التقسيم بمعاهدة مع بريطانيا ضمن حدود الانتداب؛ أما الأماكن المقدسة في القدس وبيت لحم والناصرة فتبقى تحت حكم دولة الانتداب، ويلاحظ في هذا التقسيم أنه اعتراف لليهود بحق إقامة دولة يهودية لم يمنحهم إياه وعد بلفور ولم تشر إليه وثيقة الانتداب، هذا فضلا عن أنه وضع في أيدى اليهود أخصب بقاع فلسطين وأغناها ، وقد وافق اليهود على التقسيم على اعتبار أنه سيعطيهم فرصة العمل بكل حرية على أرض تابعة لهم تبعية مباشرة لتكون نواة (إسرائيل).

وكان طبيعياً أن يرفض العرب اقتراحات لجنة بيل على اعتبار أن أي اقتطاع لأية بقعة من فلسطين يعد عدوانا لا مثيل له على حقوق شعب يعيش على أرضه، وخاصة أن ما خصص لليهود كان أحسن ما في فلسطين من أرض، وتساءلوا أهكذا يتحول اللاجئ اليهودي إلى مالك، وصاحب الأرض العربي مطرودا من أرضه ليعيش في دولة عربية فقيرة محرومة من مقومات الدولة، ولذلك عاد عرب فلسطين إلى الثورة المسلحة.

فزعت فكرة التقسيم عرب فلسطين فعادوا إلى الثورة، فتجددت الاضطرابات في فلسطين، فاعتقلت الحكومة أعضاء الهيئة العربية بعد أن أصدرت أمرا بحلها ونفت الزعماء إلى سيشل، والغت وظيفة المفتي فاشتعلت الثورة أعنف مما كانت وقاد عصابات الثوار فوزي القاوقجى ، وأخد يغير بهم على مراكز الحكومة والمستعمرات اليهودية وقطع الثوار أنابيب البترول ، وغدت فلسطين كلها ميدانا للقتال ، وصبوا جام غضبهم على الإنجليز خاصة ، وتوالت القوات البريطانية من مصر لإخماد الثورة، وقامت السلطات البريطانية بإجراءات قمعية هائلة ، وحلت المجلس الإسلامي الأعلى واللجنة العربية العليا واللجان القومية، وحاولت اعتقال الحاج أمين الذي تمكن من الهرب إلى لبنان في منتصف أكتوبر ١٩٣٧، حيث تولى قيادة الثورة من هناك، لكنها نجحت في اعتقال أربعة من أعضاء اللجنة العربية العليا، وأبعدتهم إلى جزر سيشل Seychelles، وأظهر الإنجليز منتهى القسوة في قمعها فقتلوا الآلاف وزجوا بالأحرار والمجاهدين في السجون، وقد وصلت الثورة إلى قمتها في صيف ١٩٣٨، ونجح الثوار في السيطرة على الريف الفلسطيني وقراه، وتمكنوا من احتلال عدد من المدن لفترات محدودة، وانهارت السلطة المدنية البريطانية، ولو أن الأمر اقتصر فقط على مواجهة بين شعب محتل وسلطة مستعمرة، لربما أدى الأمر إلى انسحابها وإعطاء الشعب حقوقه. ولكن وجود الطرف اليهودي – الصهيوني ونفوذه، وطبيعة مشروعة كانت تضغط دائماً لمزيد من المكابرة والعناد عند البريطانيين.

وقد اضطرت السلطات البريطانية إلى إرسال تعزيزات عسكرية ضخمة، يقودها الفضل قادة بريطانيا العسكريين أمثال ديل Dill وويفل Wavell، وهيننج Haining، ومونتجمري Montgomery. وقامت بإعادة احتلال فلسطين قرية قرية، مستخدمة كل وسائل التنكيل والدمار، وأحدث ما توصلت إليه أكبر قوة عظمي في

ذلك الوقت، واستشهد كثير من قادة الثورة أمثال فرحان السعدي، ومحمد الصالح الحمد، وعبد الرحيم الحاج محمد، ويوسف أبو درة.

وبدأ عام ١٩٣٩م والثورة ما زالت قائمة والجو الدولي ينذر بـالحرب فلجأت الحكومة البريطانية إلى محاولة جمع الطرفين العربي والصهيوني للتوصل إلى حل مقبول حيث أن غيوم الحرب العالمية الثانية كانت قد تلبدت ، ولم يكن حذر بريطانيا من توتر الحالة في فلسطين وحدها ولكنهم خافوا ما تجره مشكلة فلسطين من غصب العرب في وقت الحرب، لذلك أرادت أن تشرك الدول العربية في حل مشكلة فلسطين، وأن تدعو العرب واليهود للتعاون معها على ذلك ، فدعت إلى مؤتمر في ٧ من فبراير عام ١٩٣٩م وعرف بمؤتمر المائدة المستديرة ورفض ممثلوا عرب فلسطين أن يجلسوا على مائدة واحدة مع ممثلي اليهود فكانت الاجتماعات تدور على حدة ، وانفض المؤتمر في ٢٧ مارس دون أن يصل إلى نتيجة ولذلك عجز المجتمعون حول المائدة المستديرة عن التوصل إلى اتفاق، فأصدرت الحكومة البريطانية الكتاب الأبيض الثالث في ١٩٣٩م، كما تم ذكره من قبل.

الفصل الرابع

الولايات المتحدة والقضية الفلسطينية

خلال الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ – ١٩٤٥

الولايات المتحدة والقضية الفلسطينية

خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩– ١٩٤٥م)

كان الكتاب الأبيض البريطاني لعام ١٩٣٩ آخر صفحة رسمية في تاريخ الانتداب البريطاني في فلسطين قبيل الحرب العالمية الثانية ، وقد دفع بريطانيا إلى اصداره عدة عوامل أبرزها أن نذر الحرب كانت قد بدت في الأفق ، وأن الأمر أصبح يحتاج إلى سياسة متوازنة أو شبه متوازنة بين العرب والصهيونية ، فليتوقف – ولو مؤقتا – الاندفاع البريطاني من أجل دعم الكيان الصهيوني في فلسطين ، وليتوفر مناخ سياسى يسمح للبلاد العربية بالوقوف إلى جانب الحلفاء في حالة قيام الحرب أو على الأقل لا يجعل تلك البلدان متعاطفة النازية أو الفاشية .

ومن هنا كان ذلك الكتاب الأبيض الصادر في ١٧ مايو ١٩٣٩ والذي قامت خطوطه الأساسية على البنود التالية

أولا : تشكل حكومة فلسطينية مستقلة خلال عشر سنوات .

ثانيا : يسمح بادخال ٧٥٠٠٠ مهاجر يهودي إلى فلسطين خلال خمس سنوات ولا يسمح بهجرة يهودية أخرى إلا برضاء العرب .

ثالثا : منح سلطات للمندوب السامي تخوله منع وتنظيم انتقال الأراضي في فلسطين .

وقد شجع الحكومة البريطانية على اصدار هذا الكتاب اطمئنانها إلى الوفاء بالتزاماتها قبل اليهود ، فقد اكتمل بناء الوطن القومي اليهودي وتحقق ما جاء في تصريح بالفور وصك الانتداب خاصا باليهود، وان كان ذلك قد حدث على حساب

عرب فلسطين الذين لم تحاول بريطانيا تحمل مسئوليتها ازاءهم حتى طبقا لنصوص صك الانتداب .

ومن ناحية أخرى فقد تغيرت قيمة اليهود السياسية في نظر بريطانيا في بداية الحرب العالمية الثانية عنها في الحرب العالمية الأولى؛ ففي الحرب العالمية الأولى كان اليهود قادرين على مساومة الحلفاء على نفوذهم السياسي والمالي ، لكن اليهود في الحرب العالمية الثانية لم يستطيعوا استغلال وضعهم المالي ، وكان موقفهم العام هو موقف المستعطف المضطهد لا موقف المساوم المتمكن.

وتمكنت السلطة البريطانية من ايهام العرب واليهود أنها مضطرة خلال الحرب العالمية الثانية إلى ترك قضية فلسطين جانبا ، وكان من الطبيعي أن يدرس الصهيونيون الأمر ، وانتهوا من دراستهم إلى اختيار منهجين سيركزون عليهما خلال مراحل الحرب :

الأول: أن يعلنوا رسميا عن رغبتهم في فلسطين كلها .

والثاني: أن يدربوا رجال الهاجاناه والمنظمات السرية الأخرى على القتال في المعسكرات البريطانية.

أما عرب فلسطين فقد رأوا أن يهادنوا بريطانيا خلال الحرب على أمل أن تقدر لهم موقفهم بعد الحرب ، بل وتطوع عدد كبير منهم في وحدات التطوع وحارب بعضهم في جبهات أفريقيا وأوروبا ، ومنهم من قتل في الحرب ، ولم يحدث منهم مواقف عدائية ضد بريطانيا.

أولا الاتجاه الصهيوني نحو الولايات المتحدة الأميركية :

وتوقعا من الصهيونية للدور الأميركي المتوقع خلال الحرب العالمية الثانية اتجهوا إلى الولايات المتحدة الأميركية ، فحاولوا قبيل الحرب أن يضغطوا على البيت الأبيض لمساندة أهدافهم ، لكن وزارة الخارجية الأميركية رفضت المحاولات المختلفة التي بذلها الصهيونيون في هذا الشأن ، ولم يحصل الصهيونيون إلا على عبارات العطف على اليهود الأوروبيين والاعجاب بإنجازاتهم في فلسطين ، وأكدت الولايات المتحدة أنها لا تتحمل أية مسئولية عن ادارة الانتداب في فلسطين أو عن تنفيذ تصريح بالفور.

ولم يكن بالأمر الغريب حين صدر الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ – أن لا يكون له رد فعل رسمي في الولايات المتحدة الأميركية ، لكن صداه كان في الكونجرس الأميركي وبين يهود أميركا.

فبالنسبة للكونجرس الأميركي فقد احتج عليه بلهجة شديدة ٢٨ شيخا أميركيا واعترض عليه غالبية أعضاء لجنة الشئون الخارجية في الكونجرس ، وذهب رجال الكونجرس في حماسهم للصهيونية إلى حد اعتبار الكتاب الأبيض خروجا على الاتفاق الانجليزي الأميركي لعام ١٩٢٤ بشأن فلسطين ، واعتبروا أن المادة السابعة من هذا الاتفاق تحمل الولايات المتحدة الأميركية مسئولية أدبية بحماية اليهود.

وأما بالنسبة ليهود أميركا فيشير خطاب من وزير مصر المفوض في واشنطن في ٢٤ مايو ١٩٣٩ إلى أن ثورة اليهود على الكتاب الأبيض تميزت بالشدة ، فقام الزعماء ورجال الدين باستنكار نكث بريطانيا لعهودها ولجأوا إلى عقد مؤتمرات حضرها بعض الشخصيات التي تستند على اليهود في مصالحها الخاصة مثل محافظ نيويورك ومستر واجنر عضو مجلس الشيوخ اللذين بالغا في تعضيدهما للصهيونية ، ويعزو الخطاب حملة المستر واجنر الشديدة على الحكومة البريطانية

إلى كونه عضو مجلس الشيوخ عن ولاية نيويورك مركز الثقل اليهودي الانتخابات ، كما يعزو الدافع الأكبر في سعى يهود أميركا إلى تحقيق فكرة الوطن القومي اليهودي إلى حرصهم على أموالهم التي أرسلوها إلى فلسطين لاستثمارها هناك .

ولا ترجع عدم استجابة حكومة الولايات المتحدة الأميركية للضغوط الصهيونية قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية إلى تحذيرات رجال الدين في الشرق الأدنى أو ضغوط شركات البترول بقدر ما ترجع إلى موقف الولايات المتحدة في الحياد وعدم تحمل مسئوليات في الشرق الأدنى ، بالإضافة إلى حرص بعض المسئولين في وزارة الخارجية الأميركية على عدم مضاعفة متاعب بريطانيا خلال الحرب.

ثانيا: النشاط اليهودي والصهيوني في الولايات المتحدة الأميركية:

ونظرا لتوقع انقطاع الاتصال بين المقر الرئيسي في القدس وبين الحركة الصهيونية عند نشوب الحرب ، قرر المؤتمر الصهيوني العالمي الذي عقد في جنيف في أغسطس ١٩٣٩ انشاء مجلس طوارئ للشئون الصهيونية في الولايات المتحدة الأميركية يتولى مهام القيادة ويعتمد على الزعامة الأميركية المنتظرة في عالم بعد ما الحرب العالمية الثانية ، ولم يضف مجلس الطوارئ إلى اسمه كلمة « الأميركي » فورا ، وبقى الدكتور وايزمان والوكالة اليهودية يقومان بدور هام في شئون المجلس لكنهما كانا ومتلهفين على إدخال الصهيونية الأميركية في قلب الحركة الصهيونية تمهيدًا لكسب الرأي العام الأميركي إلى جانبهم.

وأخذ الصهيونيون في نفس الوقت يثيرون فكرة انشاء كومنولث يهودي يجب انشاؤه بعد الحرب في فلسطين ، كما عارض الزعماء الصهيونيون الأميركيون في تلك المرحلة أي شكل من أشكال تقسيم فلسطين.

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية وأصبح موقف اليهود حرجًا للغاية في أوربا شكل اليهود في الولايات المتحدة الأميركية وحدة واحدة خلف الرئيس الأميركي روزفلت وطالبوا باخراج أميركا من عزلتها واشتراكها في الحرب ضد ألمانيا على أساس أن اليهود لن يتمكنوا من الحياة الا اذا انتصر الحلفاء على النازي ، وكان الموقف على النقيض بالنسبة للعرب فلم يكن العرب نازيين كما أنهم لم يكونوا متعاطفين مع الحلفاء حتى لا يؤدى انتصارهم إلى ضياع فلسطين.

وعمل زعماء الصهيونية منذ بداية الحرب على كسب تعاطف الولايات المتحدة الأميركية مستغلين كراهية الأميركيين للنازي والفاشست ضاربين على وتر واجب العالم المتمدن ومسئوليته نحو التخفيف من آلام اليهود وتعويضهم عما لا قوه من آلام على يد النازية ومســـاعدتهم على الاستيطان في فلسطين ، وقد تأثرت الجماهير الأميركية ولا شك بتلك الدعاية ، وانقادت إلى العاطفة الانسانية التي أثارها الصهيونيون في نفوسهم.

فلقد أحدث الاضطهاد النازي لليهود لدى الأميركيين بالذات شعورا خطيرا بعقدة الذنب ، ونمى من عقدة الذنب هذه الشعور بأن الرفض لأميركي بفتح أبواب الولايات المتحدة الأميركية للهجرة اليهودية قبل عام ١٩٣٩ قد أسهم في اتساع أبعاد المأساة .

ومنذ مطلع عام ١٩٤١ ، واستفادة من هذا الجو الأميركي المتعاطف مع اليهود المضطهدين مارس الزعماء الصهيونيون وعلى رأسهم وايزمان وبن جوريون نشاطات مختلفة داخل الأوساط الصهيونية في الولايات المتحدة الأميركية بهدف الحصول على التأييد الأميركي للبرنامج السياسي الجديد الذي يدعو إلى مفهوم الدولة اليهودية ، كما قام « مجلس الطوارئ الأميركي للشئون الصهيونية » بدور

بارز في التخطيط لجعل اليهود الأميركيين يمارسون تأثيرا فعالا في توجيه السياسة الأميركية في الشرق الأوسط، ونسقت جهود مجلس الطوارئ الأميركي لدعم علاقاته مع الرأي العام الأميركي بفضل شبكة اتصالات واسعة شملت ٧٦ ولاية وفروعا اقليمية انقسمت بدورها إلى حوالي ٣٨٠ لجنة محلية.

وبالإضافة إلى ذلك فقد تم تأليف عدد كبير من اللجان الأخرى لكسب تأييد الشعب الأميركي مثل المجلس المسيحي لشئون فلسطين الذي كان يهدف إلى تكوين موقف مؤيد من رجال الدين المسيحي العمـ ل الصـهيوني ، وساعد على نجاح ذلك المجلس في مهمته أن أكثرية الشعب الأميركي تنتسب إلى المذاهب البروتستانتية التي تعتمد العهد القديم من التوراة كما تعتمد العهد الجديد.

وكان اليهود يستشهدون بوعود معينة من الكتاب المقدس أعطاها الرب إلى نسل سيدنا ابراهيم كما لو كان اليهود وبشكل خاص يهود أوروبا الشرقية الذين كانوا يشكلون عندئذ أكبر نسبة من المهاجرين اليهود إلى فلسطين – هم وحدهم أبناء ابراهيم".

ومن ناحية أخرى فقد تألفت في ابريل ١٩٤١ « اللجنة الأميركية لفلسطين » برئاسة السناتور روبرت واجنر بهدف « العمل كوسيلة للتعبير عن العطف الودي الذي تكنه أميركا المسيحية للحركة الرامية إلى اقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين » وضمت اللجنة عددا كبيرا جدا الشخصيات البارزة ، فقد ضمت أكثر من ثلثي أعضاء مجلس الشيوخ ، ١٤٣ نائبا ، ٢٢ حاكما من حكام الولايات بالاضافة إلى عدد كبير من الأدباء والناشرين ورؤساء تحرير من الصحف وغيرهم .

وعندما تم للنازي سحق يهود شرق أوروبا أواخر عام ١٩٤١ وأوائل ابريل ١٩٤٢ تسربت تفاصيل المذابح التي ارتكبها النازي ضدهم إلى زعماء اليهود الأميركيين ، وقد هزت أنباء المذابح ومعسكرات الاعتقال الرأي العام الأميركي هزا عنيفا ، وبلغ ذلك التأثير أشده في الطائفة اليهودية في أميركا التي قدم معظمها من شرق أوروبا ووسطها خلال الجيل السابق ، وكان التساؤل الذي طرح نفسه عليهم وترك فيهم أثرا عميقا « ألم أحد هؤلاء الضحايا لو أنني بقيت هناك في وطني الأول ؟ » وكان نتاج هذا الشعور اتحاد كلمة اليهود في أميركا وازدياد تطرفهم ونشاطهم وتبرعاتهم لدعم الكيان الصهيوني فلسطين.

ثالثا: مؤتمر بلتيمور ٩-١١ مايو ١٩٤٢م :

وخلال تلك الفترة كانت قيادة الحركة الصهيونية قد أزمعت أن تعلن أهدافها على المستويين المحلي والعالمي ، فعلى المستوى المحلي خطب الزعيم الصهيوني بن جوريون في تل أبيب في مارس ١٩٤٢ حيث أعلن « أن الصهيونية قد انتهت من وضع خطتها النهائية وهي أن تصبح فلسطين دولة يهودية ، وأن اليهود لا يستغنون عن أي قسم من فلسطين حتى قمم الجبال وأعماق البحار ».

وعلى المستوى العالمي عقد الصهيونيون مؤتمرهم الشهير في فندق بلتيمور بمدينة نيويورك في الفترة من ٩ الى ١١ مايو ١٩٤٢ تحت اشراف مجلس الطوارئ الأميركي للشئون الصهيونية ، وحضر المؤتمر حوالي ستمائة يهودي أميركي بينهم بعض اليهود غير الصهيونيين ، ٦٧ من الصهاينة القادمين من الخارج ، وحضره (هاري ترومان) الذي أصبح رئيسًا للولايات المتحدة من (١٩٤٥-١٩٥٣م)، كما حضر المؤتمر وايزمان وبن جوريون.

ولم يكن وايزمان وبن جوريون متفقين في أسلوبهما ، فقد كان وايزمان يريد استمرار المفاوضات الدءوبة مع الحكومة البريطانية لإنشاء جيش يهودي ومع المسئولين البريطانيين والأميركيين؛ لإبطال سياسة الكتاب الأبيض ، أما بن جوريون فقد كان يريد اثارة الأميريكيين من أجل تأييد احداث تغير سريع وجذري في سياسة فلسطين يرغم البريطانيين على الاذعان ، وبينما كان وايزمان مستمرا في التفكير في تهجير اليهود إلى فلسطين بلغة الآلاف التي تتحول في بطء إلى أغلبية فان بن جوريون كان يفكر بلغة الملايين ، وبينما كان وايزمان يرى من الحماقة أن يخاطر باحداث تصدع في العلاقات الودية مع انجلترا فان بن جوريون كان يرى أن الطريق لاكتساب تأييد الأميركيين يعتمد على اقتراح برامج متطرفة ومثيرة.

وكان هناك هدفان رئيسيان لعقد هذا المؤتمر :

أولا : الاعلان في صراحة عن أهدافا الحركة الصهيونية .

ثانيا : قيام الصهيونيين الأميركيين بدور بارز في المؤتمر حتى يتمكنوا بعد ذلك من اكتساب الشعب الأميركي إلى جانب الحركة الصهيونية .

وقد تضمن برنامج بلتمور الآتي:

١- إنشاء دولة يهودية.

٢-تشكيل قوة عسكرية تحارب تحت علمها الخاص تأكيدا بأن الشعب اليهودي له قوميته، وله علمه وله الحق في الالتحاق بهيئة الأمم المزمع إقامتها بعد إنهاء الحرب.

٣- فتح أبواب فلسطين للهجرة المطلقة إليها بلا قيود، ، وأن تعطى الوكالة اليهودية سلطة الاشراف على الهجرة إلى فلسطين والسلطة اللازمة لبناء البلاد.

٤- منح (الوكالة اليهودية) حقوقا إدارية وتنظيمية في داخل فلسطين تمهيدا لاستلام اليهود أمور الحكم والإدارة في فلسطين.

٥-إلغاء الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩م.

ولم يكن قرار المؤتمر بفتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية ناتجا عن أحداث أوروبا بقدر ما كان راجعا إلى موقف بريطانيا من تحديد الهجرة وعدم قناعة الصهيونيين بأن سياستها المعتمدة على الكتاب الأبيض ستحقق لهم الأغلبية اليهودية في البلاد ، وهو ما دعاهم إلى تحدى بريطانيا والعرب والعمل على اجبارهم على تحقيق هذا الهدف .

ولا شك أن قرارات مؤتمر بلتيمور تعتبر نصرا للسياسة الصريحة التي تبناها بن جوريون رئيس المجلس التنفيذي للوكالة اليهودية في فلسطين لا تلك السياسة المتحفظة التي كان يؤمن بها الدكتور وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية.

وجدير بالذكر أنه عند انعقاد مؤتمر بلتمور كان اليهود يشكلون في فلسطين ٣١% من مجموع السكان بينما كانوا يمتلكون ٥ر٥% من مساحة الأراضي في فلسطين .

فبينما كانت ألمانيا النازية تلفظ أنفاسها الأخيرة قامت الوكالة اليهودية بدعاية واسعة النطاق عما اقترفه النازي من جرائم بشعة شد يهود ألمانيا وشرق أوربا وزعمت أن عددا من فتلهم النازي أو أحرقهم حوالي سنة ملايين ضحية، وفي أعقاب الحرب

العالمية الثانية شحنت الوكالة اليهودية عشرات الألوف من يهود ألمانيا إلى فلسطين بشكل أزعج سلطات الانتداب البريطاني حيث أن البلاد ما كانت لتستوعب هؤلاء إلا على حساب العرب هناك، أو بمعنى آخر أنه إذا أريد قيام وطن قومي بهذه الطريقة فإن ذلك لن يتأتى إلا بإبادة عرب فلسطين .

عندما اعترضت حكومة الانتداب على فتح أبواب فلسطين هكذا أمام الهجرة اليهودية التي بلغت مائة ألف دفعة واحدة لجأت المنظمات الصهيونية إلى الولايات المتحدة فتبنت قضيتهم وطلبت من الانجليز وبأسلوب شديد اللهجة أن تفتح أبواب فلسطين للمهاجرين الجدد، وما كانت انجلترا حينذاك بقادرة على معارضة الولايات المتحدة الحليفة الأقوى التين لولاها لما نزلت الهزيمة بألمانيا.

وعلى ذلك نجد أن العمل الصهيوني بعد مؤتمر بلتمور قد اختلف عنه قبله ، فقبل المؤتمر كانت بريطانيا تبنى الوطن القومي لكنها كانت تتلاعب بالألفاظ مدعية أنها تحافظ على المصالح العربية واليهودية على السواء ، فمرة تزعم أن الوطن القومي في فلسطين شيء وتحويل فلسطين إلى وطن قومي شيء آخر ، وأخرى تزعم أن الوطن القومي لا يعنى تحويل فلسطين إلى دولة يهودية ، ومرة ثالثة تدعى أن الهجرة ليست مطلق وانما هي متوقفة على قدرة البلاد على الاستيعاب ، إلى غير ذلك من العبارات التي حاولت بها أن تضلل عرب فلسطين وتشغلهم بالبحث عن مدلول لمقصدها ، أما العمل الصهيوني بعد بلتمور فقد أخذ خطا سياسيا واضحا يتلخص في سرعة العمل من أجل قيام الدولة اليهودية.

وكان من أهم نتائج بلتمور انتقال الحركة الصهيونية من انجلترا إلى الولايات المتحدة الأميركية ، بينما أصبحت الولايات المتحدة المؤيد الأول والأقوى لقيام دولة يهودية، كانت انجلترا ترى أنها لا تستطيع الاستمرار في الانتداب على فلسطين، بل

لقد كانت المنظمات الصهيونية ترى أن دور انجلترا في التمهيد لقيام دولة يهودية قد انتهي، وأنها أصبحت دولة من الدرجة الثانية وأن الدور القيادي في هذا الصدد للولايات المتحدة الأمريكية .

ولا نجد من الناحية الرسمية في الولايات المتحدة حتى عام ١٩٤٢ أي مواقف رسمية لتأييد العمل الصهيوني في فلسطين ، لكن كان هناك بعض المواقف المؤيدة مثل تلك المذكرة التي قدمها في نوفمبر – بمناسبة مرور ربع قرن على تصريح بالفور عدد كبير من أعضاء الكونجرس الأميركي بينهم زعيما الأكثرية والأقلية في مجلس الشيوخ وستة عشر عضوا من أعضاء لجنة الشئون الخارجية فيه ، وقد اعتبرت المذكرة تصريح بالفور عملا تاريخيا وأكدت أن الحاجة إلى اقامة الوطن اليهودي أصبحت أقوى مما كانت عليه عند صدور التصريح وأن على العالم المتمدن أن يمهد السبل لليهود لإعادة بناء حياتهم في فلسطين بعد انتهاء الحرب.

رابعا: المؤتمر اليهودي الأميركي (٢٣ يناير ١٩٤٣م) :

محاولة من الحركة الصهيونية لحشد المجتمع اليهودي الأميركي خلف مقررات بلتيمور وجه الزعيم الصهيوني هنري مونسكي في ٦ يناير ١٩٤٣ دعوة إلى أربعة وثلاثين منظمة يهودية لتختار مندوبيها إلى مؤتمر يهودي عقد في بتسبرج في ٢٣ يناير ١٩٤٣ بهدف قيام ممثلي المجتمع الأميركي اليهودي باستنباط برنامج مشترك عن وضع اليهود بعد الحرب وبناء فلسطين يهودية .

واختار المجتمعون لجنة تنفيذية لوضع صيغة دعوة للمؤتمر اليهودي الأميركي الذي يمكنه التحدث باسم يهود أميركا ، وتحديد موعد انتخاب المندوبين

وتاريخ الاجتماع ومكانه وجمع الأموال اللازمة ، وأصبح عدد المنظمات اليهودية الممثلة في المؤتمر خمسا وستين منظمة .

عقد المؤتمر في ٢٩ أغسطس ١٩٤٣ وقرر عدم الاكتفاء بطلب اطلاق الهجرة إلى فلسطين بل تبنى برنامج بلتمور الذي يدعو إلى اقامة دولة يهودية ، وكان ذلك القرار بأغلبية ٧٤٨ صوتا ضد ٤ أصوات و امتناع ١٩ عن التصويت .

وهكذا توجدت المنظمات اليهودية الأميركية للوقوف صفا واحدا لدعم البرنامج الصهيوني وأعلن الحاخام اسرائيل جولدستين الرئيس الجديد للمنظمة الصهيونية الأميركية أنه أصبح مفهوما منذ ذلك الوقت أن الحركة الصهيونية أصبحت تهدف إلى « اكتساب الموافقة الصادقة من الحكومة والشعب الأميركيين على البرنامج الصهيوني بالنسبة لفلسطين، وهو البرنامج الذي أصبح الآن برنامج جميع يهود أميركا الممثلين بأعضاء المؤتمر اليهودي الأميركي المنتخبين انتخابا ديمقراطيا ».

خامسا: الأساليب الصهيونية لكسب الرأي العام الأميركي :

اثر انعقاد هذا المؤتمر استخدم زعماء الصهيونية الأميركيون أساليب مختلفة لكسب الشعب الأميركي لصالح القضية الصهيونية خاصة اليهود الأميركيين وفئات السكان التي لا تبالي بتلك الصهيونية ، وكان من تلك الأساليب النداءات الدعائية ونواحي النشاط الصحفي والنشر والاجتماعات العلنية وتجمعات الاحتجاج والمظاهرات مع تأييد الحاخامات اليهود لذلك النشاط المتعدد .

وتتبين مهارة الصهيونيين الدعائية في تلك النقاط العشرة التي اختاروها كنداءات دعائية لقضيتهم والتي مازالوا يستخدمونها حتى الآن .

–الصهيونية هي شارة الشرف اليهودي ، واليهودي الذي يهتم بشعبه يساعد في قضية فلسطين .

– أن ما تحقق من أعمال على يد الرواد اليهود في فلسطين هو نموذج حي للجنس البشرى بأسره.

–يشكل اليهود أينما وجدوا شعبا واحدا ، ويجب أن يتلقى اللاجئون الأوروبيون المعونة من اخوانهم في أميركا.

– الصهيونية وسيلة بناءة لحل القضية اليهودية .

– الصهيونية نضال ضد أعداء الشعب اليهودي .

– الصهيونية تجعل اليهودية مستمرة .

– الصهيونية تضع حدا للاسامية .

– نبوءات التوراة وحاجة العالم والأعمال التي حققها اليهود في فلسطين تطلب جميعها الحل بإنشاء دولة يهودية.

– المعونة لفلسطين معناها الولاء للولايات المتحدة الأميركية ، وفلسطين هي حصن الديمقراطية في قلب الشرق الأوسط الاقطاعي .

– الحل الصهيوني يطالب بالعدالة التاريخية ، والدولة اليهودية المطلوبة ليست سوى تعويض عن المذابح المستمرة .

وكانت هناك مجلات عديدة شهيرة تساعد على نشر السياسة الصهيونية ، وزودت الصحافة الأميركية بمئات المقالات والبيانات الموجهة لخدمة الحركة

الصهيونية ، وحافظت المنظمة الصهيونية على أوثق العلاقات مع كبار مراسلي الصحف الأميركية في واشنطن ومع كتاب كبريات الصحف في نيويورك ، وعقدت المؤتمرات لصحفية ذات التأثير الفعال في واشنطن ونيويورك، واشتريت صفحات كاملة من الصحف الأميركية البارزة لشن الدعاية ضد الحكومة البريطانية التي اتهمت بأنها شاركت بصفحة جديدة في تاريخ استشهاد الشعب اليهودي.

وحرصت المنظمة الصهيونية الأميركية على توزيع النشرات والكتب التي تخدم أهدافها ، ففي عام ١٩٤٤/٤٣م قامت المنظمة بتوزيع أكثر من مليون نشرة على المكتبات العامة ورعاة الكنائس والمراكز الاجتماعية والكتاب وغيرهم ، كما ساعدت الحركة الصهيونية بأموالها عددا من المؤلفات غير اليهودية ، وربما كان كتاب الدكتور لودرفيلك « فلسطين أرض الميعاد » أبرز تلك الكتب التي اهتم بها الصهاينة .

وأمكن للجنة الأميركية لفلسطين أن تستميل إلى عضويتها شخصيات أميركية بارزة بلغ عددها مع نهاية الحرب العالمية الثانية ٦٥٠٠ عضوا بينهم أعضاء في مجلس الشيوخ والنواب ووزراء وحكام ولايات وكبار موظفين وقضاة ورجال دين وكتاب وأصحاب دور نشر ورجال صناعة وكان من نتائج جهودها حصولها على اعلان من سبعين عضوا من أعضاء مجلس الشيوخ يربط بين فلسطين وبين مشكلة اللاجئين في أوروبا .

كما تمكن مجلس الطوارئ من شراء وقت إذاعي من ١٨٢ محطة اذاعة في الولايات المتحدة الأميركية ومن ٥٠ محطة اذاعة في كندا ، وسمع الأميركيون في ست وأربعين ولاية أصوات كبار النجوم في أدوار درامية ضمن برنامج عنوانه (فلسطين تتكلم).

وكان من الأساليب التي اتبعتها المنظمة اليهودية الأمريكية أن يتدفق على الكونجرس الأميركي عند نظر موضوع فلسطين ، كما حدث عام ١٩٤٤ – ألوف الرسائل والبطاقات والبرقيات ، وأن يتم الاتصال عدة مرات بكل عضو من أعضاء لجنة الشئون الخارجية عن طريق دائرته الانتخابية .

فهل يعنى ذلك أن المنظمة الصهيونية الأميركية ومعها المجالس واللجان والتشكيلات الصهيونية المختلفة قد استطاعت أن تكتسب الرأي العام الأميركي إلى جانب القضية الصهيونية خلال مرحلة الحرب العالمية الثانية ؟ .

ان كل ما يمكن أن يقال في هذا الشأن أن المنظمة الصهيونية الأميركية وتلك التشكيلات المختلفة قد استطاعت أن تكتسب قطاعات مؤثرة من الرأي العام الأمريكي ، كما نجحت في نفس الوقت في تكتيل جهود معظم اليهود الأميركيين لخدمة القضية الصهيونية ، ولكنها لم تنجح في ضم كل اليهود الأميركيين إلى صفوفها ، وقد كان المجلس الأميركي لليهودية هو أبرز تلك التشكيلات التي كانت تختلف في نظرتها ومواقفها عن التشكيلات الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية وقد شكل المعادون الصهيونية ذلك المجلس في أغسطس ١٩٤٣ وقامت فكرته على أن اليهود – كطائفة دينية – مرتبطون بقومية البلدان التي يعيشون بين ظهرانيها ، ورفض المجلس تلك الجهود التي كانت تبذل لإقامة دولة يهودية قومية في فلسطين أو في أي مكان آخر واعتبر ذلك موقفها انهزاميا .

وقد ظل هذا المجلس على مدى ربع قرن من الزمان مناوئا للفكرة الصهيونية ومجابها النفوذ الصهيوني في الولايات المتحدة الأميركية رافضا اسباغ التفسيرات القومية الضيقة على الديانة اليهودية ، واستمر المجلس ملتزما هذا الموقف حتى حدث انشقاق داخلي بين أعضائه في أعقاب عدوان الخامس من يونية ١٩٦٧ .

ومن ناحية أخرى فان كثيرا من الأميركيين في تلك المرحلة رغم تعاطفهم مع اليهود المضطهدين لم يكن يؤيد فكرة انشاء دولة في فلسطين ، ولذلك ركز الزعماء الصهاينة على الجانب الانساني للقضية اليهودية حتى يمكن التأثير الفعال في الرأي العام الأميركي على أساس أن ذلك سيؤدي في النهاية إلى اقامة دولة يهودية في فلسطين ، ولذلك فان استمرار مشكلة اللاجئين في أوروبا دون حل كان ضمانا في حد ذاته لخلق دولة يهودية في فلسطين.

سادسا: الرئيس روزفلت والقضية الفلسطينية :

تلك نظرة مركزة عن النشاط الصهيوني في الولايات المتحدة الأميركية خلال الحرب العالمية الثانية ، فهل كان لذلك النشاط أثره في السياسة الرسمية في الولايات المتحدة خلال تلك المرحلة ؟ وما هي المواقف الحقيقية للهيئات الرسمية في الولايات المتحدة تجاه القضية الفلسطينية ؟

لقد اختلفت الآراء في موقف الرئيس الأميركي روزفلت من القضية الفلسطينية خلال تلك المرحلة ، فمن قائل أنه كان متعاطفا مع فكرة الموطن القومي اليهودي ، ومن قائل أنه كان حريصا على عدم اغضاب العرب ،ولعل ذلك الغموض يرجع أساسا إلى تلك التصريحات والوعود الطيبة التي أعطاها روزفلت لكل من الجانبين كما يرجع إلى ما ذكر من روايات متناقضة عن علاقة روزفلت بالعرب .

فبالنسبة للجانب الصهيوني نجد الرئيس روزفلت يستقبل في ٥ مارس ١٩٤٤ كلا من الدكتور وايز والدكتور سلفر ، وهما من رجال الدين اليهود . ويخولهما أن يعلنا عن تأييده لمطالب الصهيونيين وبعد أسبوع واحد من ذلك التاريخ – أي في ١٦ مارس ١٩٤٤ . عبر الرئيس الأميركي في تصريح رسمي عن عدم موافقة

الحكومة الأميركية على الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ ، وأن الرئيس الأميركي سعيد بفتح أبواب فلسطين أمام اللاجئين اليهود ، وأن الحكومة والشعب الأميركي كانا يشعران بالعطف العميق تجاه انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، وأنها أصبحت تشعر بذلك أكثر من أي وقت منى « نظرا للنكبة المحزنة التي حلت بمئات الألوف من اللاجئين اليهود الذين لا وطن لهم » .

وأما بالنسبة للعرب فقد جرت خلال الحرب العالمية الثانية اتصالات بين الرئيس روزفلت وبين بعض الملوك والرؤساء العرب كان أبرزها تلك الاتصالات التي جرت مع الملك عبد العزيز آل سعود ، والتي حاول فيها الملك أن يوضح للرئيس روزفلت حقيقة الأمور في فلسطين وقيام الصهيونيين ببعض أعمال الاثارة في المنطقة ثم ضغطهم على الحلفاء لتبنى خطة معادية للمصالح العربية ، وقد أكد الرئيس روزفلت للملك عبد العزيز في تلك الاتصالات أنه لن يقوم بأي عمل عدائي ضد الشعب العربي وأنه لن يتخذ قرارا يخص الوضع الأساسي في فلسطين دون استشارة تامة مع العرب واليهود ، وأن سياسة الحكومة الأميركية في هذا الشأن غير متغيرة.

والمتمعن في تلك التأكيدات التي أعطاها روزفلت للملوك والرؤساء العرب يدرك أن روزفلت يعد بشيء محدد وهو أنه لن يتخذ قرارا في المسألة الفلسطينية دون استشارة العرب ، وقد تم استشارتهم فعلا عن طريق الاتصالات والمشاورات ، ومن الطبيعي ألا يكون هذا التشاور ملزما للرئيس الأميركي هد، فوعده للعرب هو في حقيقة أمره غير ذي شأن لأنه يقتصر على الاستشارة غير الملزمة لصاحبها .

ويبدو أن الملوك والرؤساء العرب قد فهموا من هذه العبارة التي كررها روزفلت في أكثر من مناسبة أن ذلك يعني التزاما أميركيا بالحفاظ على المصالح

العربية أو على الأقل الاضرار بحقوق العرب في فلسطين . لكن الحقيقة أن تلك العبارة أو ذلك التعهد يفهم منه بالدرجة الأولى أن الولايات المتحدة قد أخذت على عاتقها المشاركة في الحل النهائي للمسألة الفلسطينية.

ويلاحظ أن هناك وجه شبه بين الوعود الأميركية والبريطانية للعرب ، فهي تصاغ جميعها بطريقة لولبية مطاطة غير محددة النتائج أو الالتزامات لكن العرب أحيانا يحملون تلك العبارات أكثر مما تحتمل ، ثم يبنون نتائج مختلفة على تلك المفاهيم دون أن يدركوا المعاني الحقيقية لتلك الوعود.

ولقد قام الدكتور وايزمان بزيارة إلى أميركا عام ١٩٤٢ ، وقبيل انتهاء زيارته التقى مع الرئيس الأميركي روزفلت في مقابلة طويلة حاول خلالها الدكتور وايزمان أن يثيره ضد العرب مصورا اياهم بغير حقيقتهم. فقد أخبر الدكتور وايزمان الرئيس روزفلت أن اليهود لا يستطيعون أن يربطوا قضيتهم بموافقة العرب ، وأنه طالما كانت موافقتهم مطلوبة فسوف يرفضون طبيعيا الاستجابة ، أما اذا عرفوا أن المستر تشرشل والرئيس روزفلت كليهما يؤيدان الوطن القومي اليهودي فسوف يرضخون ، لكنهم في اللحظة التي يشعرون فيها بضعف في ذلك التأييد فانهم يتحولون إلى رافضين ومتعجرفين ومخربين ، ومع أن الدكتور وايزمان يذكر أن الرئيس روزفلت كان ايجابيا للغاية ، لكن المقابلة انتهت بتأكيد الرئيس روزفلت تعاطفه اليهود دون أن يقدم لوايزمان أية تعهدات محددة.

وبالرغم من أن الرئيس روزفلت مثل من سبقه من الرؤساء الأميركيين كان يرسل تحياته إلى المؤتمرات السنوية للمنظة الصهيونية في أميركا ، فان صياغة تلك الرسائل بما فيها الرسالة التي وجهها إلى المؤتمر الذي عقد في سبتمبر ١٩٤٣ – كانت متحفظة دائما ، ولم تتضمن اطلاقا أية تعهدات أميركية رسمية.

بل ان الرئيس روزفلت كان يريد حل مشكلة المضطهدين اليهود في أوروبا عن غير طريق فلسطين ، فقد حاول مساعدتهم على الهجرة إلى أميركا أو إلى أية أماكن أخرى ، لكن الصهيونيين عارضوا تلك المحاولة وهاجموها لأسباب سياسية صرفة تقوم على رغبتهم في تحويل الهجرة إلى فلسطين بالدرجة الأولى ، وها هو موريس ايرنست الذي عهد اليه الرئيس روزفلت بوضع خطة تهجير اليهود يوضح ردود الفعل لدى الصهاينة.

« لقد استغربت بل شعرت بالمهانة عندما أخذ القادة اليهود المؤثرون يشجبون ويسخرون ثم يهاجمونني وكأنني خائن ان أصدقائي من الصهيونيين يعارضون ٠٠٠ وانني أستطيع معرفة السبب... ان زعماء هذه الحركات يجب أن يكونوا قد شعروا أن نظريتهم العزيزة لديهم أصبحت في خطر داهم ؛ بسبب سخاء مخطط روزفلت وما ينطوي عليه من انسانية »

سابعا: مشروع لتصفية قضية فلسطين :

ولقد أشير في مذكرات الدكتور وايزمان إلى أمر يستحق أن نقف عنده قليلا ، فقد أشار وايزمان إلى أنه عندما ذهب إلى أميركا كان قد أخذ تأكيدات من المستر تشرشل بأنه لديه خطة للصهاينة تقوم على أن يصبح الملك عبد العزيز آل سعود زعيما للشرق الأوسط ، وأن تشرشل يمكنه تنفيذ تلك الخطة بمساعدة روزفلت وأن نهاية الحرب العالمية سوف تشهد تغييرا في وضعية الوطن القومي اليهودي ، وأن الكتاب الأبيض لعام ١٩٣٩ سوف يذهب ، وأن الرئيس روزفلت طلب من وايزمان أن يبلغ تشرشل رد فعله الايجابي لأفكار تشرشل .

ويضيف وايزمان أنه طوال مقابلته للرئيس الأمريكي والتي حضرها المستر ويلز مساعد وزير الخارجية الأمريكية . فان المستر ويلز كان صريحا في تعاطفه مع مشروعات وايزمان ، كما عبر عن ثقته بأن أميركا سوف تكون مستعدة للمساعدة ماليا في انشاء الوطن القومي اليهودي ، ويضيف وايزمان أنه لم تبحث تفاصيل الموضوع لكن مستر ويلز كان قد قرأ مقالة وايزمان في مجلة « الشئون الخارجية » واتفق معه في أفكارها .

فما هو ذلك المشروع الذي أبدى مساعد وزير الخارجية الأمريكية استعداد بلاده للمساعدة ماليا في تنفيذه ؟

لقد أشارت بعض المراجع إلى أن المقصود من ذلك هو ذلك المشروع الذي سبق أن عرضه فيليبي لتسوية المسألة الفلسطينية والذي كان يقوم على الأسس التالية :

١- أن تترك فلسطين بأجمعها لليهود .

٢- يتم توطين العرب الذين يتركون فلسطين إلى أماكن أخرى على نفقة اليهود ، ويوضع مبلغ عشرين مليونا من الجنيهات الاسترلينية تحت تصرف الملك عبد العزيز آل سعود لهذا الغرض.

٣- يعترف باستقلال جميع البلدان العربية في آسيا باستثناء محمية عدن.

٤- تقترح كل من بريطانيا والولايات المتحدة هذه الخطة على الملك عبد العزيز آل سعود وتضمنان تنفيذها في حالة قبول العرب لها .

وقد قيل أن وايزمان وموسى شرتوك طلبا من فيلبي أن يحاول الحصول على موافقة الملك عبد العزيز على ذلك المشروع وأنه عرضه فعلا على الملك عبد العزيز في يناير عام ١٩٤٠ لكن محادثاته لم تسفر عن شيء .

ولا شك أن مشروع فيلبي كان صحيحا ، فقد تحدث عنه وايزمان في مذكراته وربط بينه وبين الخطة التي عرضها عليه المستر تشرشل، كما روى أمين الحسيني أن الرئيس روزفلت عرض على الملك عبد العزيز آل سعود عندما التقى به في فندق الفيوم بمصر عام ١٩٤٥ عشرين مليون جنيه ذهبا لتنفيذ المشروع ، وأن آخرين أيضا تحدثوا مع عبد العزيز في نفس الموضوع؛ لكن الملك عبد العزيز رفض بشدة واباء تنفيذ ذلك المشروع" .

ثامنا: الانتخابات الأميركية وأثرها على القضية :

ومن ناحية أخرى فعلينا ألا ننسي عند تحليل تصريحات الرئيس روزفلت ومواقفه من القضية الفلسطينية أن الرئيس روزفلت كان رئيسا للحزب الديمقراطي في الولايات المتحدة الأميركية ، ومن الطبيعي أن يعبر رئيس الحزب عن اتجاهات حزبه وقراراته ، ولم يكن في استطاعة روزفلت أن يسكت عن ابداء رأيه في المسألة الفلسطينية أو أن يقول شيئا مخالفا لرأى حزبه خاصة عند اقتراب موعد انتخابات الرئاسة الأمريكية.

ولقد أحسن الصهيونيون استغلال فرصة الانتخابات الأميركية لمساومة الحزبين الرئيسيين على منح الأصوات اليهودية للحزب الذي يوافق على تحقيق مطالبهم في فلسطين وهو ما دفع الحزبين إلى التنافس لخطب ودهم واكتساب تأييدهم .

ولا شك أن انتخابات الرئاسة الأميركية تشكل عاملا هاما في تأييد الرؤساء الأميركيين للقضية الصهيونية وفي اندفاع بعضهم في دعم الكيان الصهيوني في فلسطين إلى أقصى درجات التأييد والدعم .

ولا ترجع أهمية أصوات اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية إلى قيمتها العددية ، فاليهود لا يشكلون سوى ٣٪ من مجموع السكان ، وانما ترجع إلى تركز معظم يهود الولايات المتحدة في عدد محدود من المدن الكبرى المزدحمة بالسكان خاصة في مدينة نيويورك وولاية كاليفورنيا وهو ما تبرز أهميته نتيجة للنظام الانتخابي في البلاد .

وتسير انتخابات الرئاسة في الولايات المتحدة الأميركية على مبدأ « كل شيء أو لا شيء» اذ يحصل المرشح الفائز على كل الأصوات الانتخابية في الولاية ، وهذا يوضح أهمية الفوز بالولايات المزدحمة بالسكان اذا تشكل ولايات نيويورك وكاليفورنيا وبنسلفانيا والينوى وماساشوستس وأوهايو ١٧٨ صوتا انتخابيا من ٢٢٦ وهي مجموع الأصوات اللازمة للفوز بانتخابات الرئاسة .

ونظرا لأن ٤٠% من مجموع اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية يعيشون في مدينة نيويورك وحدها ، بينما يوجد حوإلى ٣٥% بولايات كاليفورنيا وبنسلفانيا والينوى وماساشوستس وأوهايو فان ذلك يعطى لأصوات اليهود قيمة كبيرة خاصة اذا كان المرشح في انتخاب الرياسة في حاجة إلى أصواتهم .

ولا شك أن عاملي الأصوات والأموال التي تنفق بالاضافة إلى حسن استغلال اليهود لهما للتأثير في مرشحى الرياسة الأميركية يحققان نتائج طيبة بالنسبة للقضية الصهيونية ، فقد دفع ضغط السياسة المحلية انتخابات الرئاسة لعام ١٩٤٤ مرشح

الحزب الجمهوري جون ديوى (في ١٢ أكتوبر ١٩٤٤) وبعد ذلك مرشح الحزب الديمقراطي روزفلت (في ١٥ أكتوبر ١٩٤٤) إلى التحدث في القضية الفلسطينية .

ويعزى قيام روزفلت بتأييد برنامج بلتمور بعد أن تجنب حتى ذلك الوقت الادلاء بأي تصريح علني إلى مخاوف الديمقراطيين الانتخابية عام ١٩٤٤ ، وقد تجلى ذلك في الكتاب الذي بعثه الرئيس روزفلت إلى واجنر عضو مجلس الشيوخ طالبا اليه أن ينقل محتوياته إلى اجتماع عقدته المنظمة الصهيونية ، فبعد أن استهل الكتاب بمواد وردت في برنامج الحزب الديمقراطي الذي أعلن في يوليو ١٩٤٤ وتأييد اقامة دولة يهودية في فلسطين ذكر الرئيس روزفلت العبارة التالية :

« ستبذل الجهود للعثور على السبل والوسائل الملائمة لتنفيذ هذه السياسة في أقرب وقت ممكن عمليا ، فاني أعلم كم مضى من الوقت على الشعب اليهودي ، وكم جاهد وصلى لاقامة فلسطين دولة يهودية حرة ديمقراطية ، واني مقتنع بأن الشعب الأمريكي يؤيد هذا الهدف . واذا أعيد انتخابى سأساعد على تحقيقه » .

لكن بمجرد أن انتهت الانتخابات بفوز الحزب الديمقراطي بالرياسة عاد روزفلت الى سياسته المعتدلة التي عرف بها .. ففي رسالة منه اثر الانتخابات الى واجنر عضو مجلس الشيوخ قال الرئيس روزفلت :

« وهناك الصعوبة الوحيدة في أي عمل اضافي يقوم به أي من مجلسي الكونجرس بشأن فلسطين في الوقت الحاضر ، ففي تلك البلاد الآن نحو نصف مليون يهودي ، ويحتمل أن مليونا آخر منهم يريدون الذهاب إلى هناك ، من جميع الفئات منهم الطيبون والأشرار ومنهم من لا يهمهم الأمر وفي الناحية الأخرى من الصورة يوجد نحو سبعين مليون مسلم يريدون ذبح هؤلاء اليهود يوم نزولهم إلى البر،

والأمر الوحيد الذي أريد اجتنابه هو المذبحة أو نشوء موقف لا يمكن حله بمجرد الأقوال ، وكل ما يقال أو يعمل هنا الآن من شأنه أن يزيد في الوقود للنار المشتعلة ، وأرجو أن لا يقوم في هذا الوقت أي فرع من فروع الحكومة بأي عمل ، فكل انسان يعلم ما هي الآمال الأميركية فاذا أكثرنا من الكلام عنها سببنا الضرر في التحقيق » .

واضح من هذين الخطابين الموجهين من الرئيس الأميركي روزفلت إلى واجنر أن مواقف الرئيس الأمريكي كانت مواقف متغيرة طبقا لما تقتضيه مصلحة الولايات المتحدة الأميركية ثم مصلحة الحزب الديمقراطي ، ولا يعنى ذلك أن تلك المواقف لم تكن مواقف مبدئية بل أن الولايات المتحدة لها مصالح أساسية في منطقة الشرق الأوسط متمثلة على الجانب العربي في مصالحها السياسية والبترولية والاستراتيجية ، ومتمثلة على الجانب اليهودي في اقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين كقاعدة أساسية للغرب في المنطقة ، هذه مصالح أساسية ولا شك ، لكن هناك إلى جانب تلك المصالح عوامل أخرى قد تكون ثانوية حينا وقد تقرب أن تكون أساسية حينا آخر ، منها الاستفادة من أصوات اليهود وأهوالهم في الانتخابات ، ومنها الضغوط الاعلامية والاقتصادية الصهيونية ، ومنها احتمال حدوث موقف عربي يهدد المصالح الأميركية ، ومنها اتجاهات الرئيس الأميركي وميوله الفكرية والنفسية تجاه قضية معينة ، هذه العوامل الثانوية قد تبرز أحيانا على السطح وتبدو وكأنها عامل أساسي في الموقف ، وقد تختفى أحيانا وتظهر العوامل الأساسية وحدها ، وقد يخفف اتجاه الرئيس الأميركي من حدة موقف معين ، لكن العوامل الأساسية المتمثلة في مصلحة الولايات المتحدة الأميركية تبقى هي العوامل المؤثرة في المواقف وفي اتخاذ القرارات وفي مساندة قضايا محددة .

ليس هناك اذن تناقض في سياسة الرئيس الأميركي روزفلت تجاه القضية الفلسطينية وروزفلت ، في النهاية ليس سوى معبر عن المصالح الأميركية التي كانت تتبلور في تلك الفترة في اتجاهات محددة لمواجهة مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، وكانت السياسة الأمريكية في تلك الفترة مؤيدة لقيام الوطن القومي اليهودي في فلسطين لكنها كانت حريصة أيضا على محاولة كسب العرب وتجنب اغضابهم دعما لمصالحها في المنطقة العربية ، واستعدادا لشغل ذلك الفراغ الذي يمكن أن ينشأ نتيجة للانسحاب البريطاني والفرنسي من المنطقة.

وقد تركت تلك السياسة الأميركية التي حاولت أن تبدو متوازنة وذلك الاعتدال في الأسلوب والنظرة الذي اتسمت به مواقف الرئيس روزفلت تركت انطباعا طيبا لدى كبار المسئولين العرب فترة الحرب العالمية الثانية ، هذا الانطباع هو الذي دفع الملك عبد العزيز آل سعود انى أن يقول للرئيس روزفلت في رسالته المؤرخة ١٠ مارس ١٩٤٥ أنه « واثق من انصاف العرب من قبل دول الحلفاء » وهو الانطباع الذي جعل شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية في ذلك الوقت يقول للقائم بالأعمال المصري في دمشق في مقابلة بينهما في ٢٢ مارس ١٩٤٥ اثر التصريحات التي أدلى بها الرئيس روزفلت بشأن الهجرة اليهودية أنه كان يظن في بادىء الأمر أن تلك التصريحات مكذوبة نسجها خيال الدعاية الصهيونية أو الفرنسية لاثارة العرب ضد الأميركيين ، وأنه يعتقد أن تلك التصريحات لا تعبر عن الرأى الحقيقي للرئيس الأميركي ، وأنه يفهم أن الرئيس روزفلت حريص على ارضاء اليهود ظاهريا في الوقت الحاضر ، وأنه « قد يكون من المفيد لقضية الحلفاء أن يذيع الرئيس روزفلت مثل تلك التصريحات بشرط أن تكون من قبيل تصريحات لويد جورج » .

والحقيقة أن الرئيس الأميركي كان يعرب فعلا لا عن رأيه الحقيقي فحسب بل عن الرأى الذي يتفق والمصالح الأميركية ، الرأي الذي سبق أن عبر عنه الرئيس ويلسون عندما وافق على نص تصريح بالفور قبل اصداره ، وعبر عنه الكونجرس الأميركي بموافقته على انشاء الوطن القومي اليهودي في ١١ سبتمبر ١٩٢٢ ٠

تاسعا: وزارة الخارجية الأميركية والقضية :

كانت وزارة الخارجية الأميركية أكثر الجهات المسئولة في الولايات المتحدة تعبيرا عن المصالح الأميركية في العالم العربي بل انها كانت تعترض على اتجاه الرئيس روزفلت لتأييد المطالب الصهيونية ، ولم يكن ذلك راجعا إلى مجرد كون كبار المسئولين في الوزارة شديدي العداء للصهيونية بل أيضا إلى أن ذلك التأييد كان يثير قلقا بالغا في العالم العربي.

وقد كانت المصالح الأميركية في الشرق العربي في تلك الفترة تنمو من خلال مؤسسات ومراكز عدة : فقد كان هناك مركز التموين الانجليزي الأميركي ، وبعثات عسكرية أميركية ومستشارون أميركيون في عدد من البلاد العربية والاسلامية ، وأعمال تجارية وسياسية مختلفة ، بالاضافة إلى ازدياد الاهتمام الأميركي بمخزون البترول في المملكة العربية السعودية ، وقد أدت تلك الاستثمارات والمصالح إلى تقوية الرغبة الأميريكية الرسمية في انشاء علاقات طيبة مع الأقطار العربية .

وقد عبرت وزارة الخارجية الأميريكية عن استيائها في أوائل ١٩٤٤ حين علمت أن مشروعات قرارات تستند إلى برنامج بلتمور قدمت إلى الكونجرس الأميركي ، وكانت تخشى أن تؤدي الموافقة على تلك المشروعات إلى عرقلة المفاوضات الجارية مع ابن سعود حول خط الأنابيب عبر شبه الجزيرة العربية ،

وهي الأنابيب التي كان القادة العسكريون في الولاياب المتحدة يعتبرونها حيوية بالنسبة لأمن الولايات المتحدة الأميركية ، بل ان وزير الخارجية الأميركية أكد في يناير ١٩٤٤ أن بلاده لا دخل لها في شئون فلسطين وأنه لا يهمها أكثر من اظهار العطف على اليهود المضطهدين في أوروبا .

وكتب وزير الخارجية الأميركية في ١٨ يناير ١٩٤٤ رسالة إلى السناتور ماينك ردا على احتجاج له بقوله : « أن حكومة أميركا تعتبر فلسطين هذه أمانة في عنق بريطانيا ، وأنه ليس لنا نحن أن نتدخل فيها » .

وقد عبر قنصل الولايات المتحدة الأميريكية بالقدس عن هذا المعنى في حديث له مع الدكتور محمود فوزي القنصل المصرى العام بالقدس في ١٩ أكتوبر ١٩٤٤حين قال معلقا على التصريحات الأميركية لصالح اليهود « فانه سيكون في امكاننا مستقبلا التحلل من وعودنا كما تحللت انجلترا قبلنا من وعود كثيرة أعطتها ، ثم انا سنقول كذلك أن كل ما علينا ابداء رغباتنا ، وأن الأمر الطبيعي هو أن تحل المسألة الفلسطينية في لندن ، وبتلك الطريقة ننقل المسئولية إلى انجلترا ، كما فعلت هي كثيرا ولازلت تفعل بمحاولتها انهام الناس والعرب خصوصا أن كثيرا مما تعمله انما يحصل مجاملة لأميركا وتحت الضغط الأميركي » .

ويبدو أن البريطانيين كانوا يفكرون في نفس الوقت وبنفس الطريقة في القاء الكرة إلى الأميركيين ، فيتضح من قرار لحزب العمال البريطاني اتخذه في ديسمبر ١٩٤٤ أن الحزب كان يسعى لكسب عطف وتأييد الحكومة الأميركية في تنفيذ سياسة فلسطينية تقوم على الفكرة التالية « فليشجع العرب على الخروج بينما اليهود يدخلون.....)) لكن الموقف سينتهي بعد الحرب العالمية الثانية باستقرار الكرة

الفلسطينية لدى الأميركيين الذين سيتحملون المسئولية الأساسية في بناء الدولة اليهودية في فلسطين.

لكن رغم ذلك الموقف المتمشى مع الحفاظ على المصالح الأميركية من وزارة الخارجية الأميركية ، فان الكونجرس الأميركي كان يأخذ موقفا مختلفا ، فقد اتخذ الكونجرس الأميركي في يناير ١٩٤٤ قرارا تبنى فيه المطالب الصهيونية ، فوافق على قيام الدولة اليهودية وتشجيع الهجرة اليهودية غير المحدودة ، وحظى القرار بتأييد الحزبين الديمقراطي والجمهوري .

وعندما بدأت لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشيوخ الأميركي في مارس من نفس العام تناقش تلك السياسة وتبحث اقتراحا باقامة دولة يهودية في فلسطين قدمت احتجاجات من بعض الدول العربية وعلى رأسها مصر والمملكة العربية السعودية فطلب وزير الحربية الأميركي ايقاف بحث الاقتراح لاعتبارات عسكرية وتم الاستجابة إلى طلبه.

وكان لذلك رد فعله العنيف لدى الصهيونيين في الولايات المتحدة الأميركية ، فقابل وفد منهم الرئيس الأميركي الذي عبر لهم عن تلك المعاني التي وردت في تصريحه الصادر في ١٦ مارس ١٩٤٤ – والسابق الأشارة اليه ، لكن وزارة الحربية عادت فأعلنت في أكتوبر ١٩٤٤ أن الموقف الحربي لم يعد حرجا مثلما كان في مارس ١٩٤٤، وأنه ليس هناك ما يمنع من مناقشة السياسة الجديدة الخاصة بقضية فلسطين.

وفي الوقت الذي رفعت فيه وزارة الحربية الأميركية تحفظها اعترضت وزارة الخارجية على تنفيذ قرار الكونجرس بحجة أن الموقف الدولي لا يسمح بذلك ويرجع

تحفظ الخارجية الأميركية في تأييدها للصهيونية إلى نفس موقفها الثابت في ذلك الوقت، وهو حرصها على على الحفاظ على المصالح الأميركية في العالم العربي، وقد حاول الصهاينة في الولايات المتحدة الأميركية اثارة الكونجرس ضد وزارة الخارجية بزعم حدوث مؤمرات من وزارة الخارجية الأميركية ضدهم ، وقاد الشيخ الأميركي عمانوئيل سيلر أشهر رجال الكونجرس حملة على الخارجية الأميركية في هذا الشأن ، لكن الحقيقة أنه لم تكن هناك مؤامرات في وزارة الخارجية الأميركية ، وانما كانت الخارجية الأميركية تدافع عن المصالح الأميركية في العالم العربي ، لكن ضغوط الكونجرس نجحت في نهاية الأمر في كسب التأييد الأميركي الرسمي .

عاشرا: الحزبان الجموري والديمقراطي والقضية :

أما عن موقف الحزب الجمهوري فلقد أصدر الحزب قرارا في ٢٧ يونية ١٩٤٤ يدعو فيه إلى فتح أبواب فلسطين لهجرة اليهود غير المقيدة وتملكهم الأراضي لكي تصبح فلسطين كومنولث در ديمقراطي ، وأدان الحزب الرئيس الأميركي لتقصيره في تحقيق هذا الهدف.

ولم يلبث الحزب الديمقراطي أن اتخذ قرارا مماثلا في مؤتمره الذي عقد في ٢٤ يوليو ١٩٤٤م يحبذ فيه « فتح أبواب فلسطين لهجرة يهودية غير محددة ولاستعمار يهودى ، واتخاذ سياسة من شأنها أن تؤدى إلى انشاء كومنولث يهودى ديمقراطي هناك » .

وقد حاولت الحركة الصهيونية الضغط على الرئيس روزفلت كى يبحث مطالبها في مؤتمر يالطة الذي عقد في الفترة من ٣ إلى ١١ فبراير ١٩٤٥ على أمل أن يحصلوا على دعم دولي ، لكن روزفلت لم يستجب إلى هذا الضغط ، وأعلن

بعد عودته من المؤتمر واجتماعه بالملك عبد العزيز آل سعود « اني علمت من مشاكل العرب والمسلمين واليهود في خلال أحاديثي مع ملوك العرب ورؤسائهم مدة خمس دقائق أكثر مما تيسر لي علمه بالرسائل المتبادلة مهما كثرت ...» .

أما حكومة الولايات المتحدة الأميركية فانها لم تأخذ خلال الحرب العالمية الثانية أي موقف رسمي من القضية الفلسطينية ، كما أن ترومان الذي كان قد تولى رئاسة الولايات المتحدة بعد وفاة الرئيس روزفلت فى ١٢ ابريل ١٩٤٥– تردد في اتخاذ موقف صريح مؤيد للصهيونية في مؤتمر بوتسدام لأن الحرب لم تكن قد انتهت بعد مع اليابان ، وصرح عقب عودته إلى واشنطن بأن الولايات المتحدة الأميركية غير مستعدة لارسال نصف مليون جندي إلى فلسطين للمحافظة على أرواح المهاجرين اليهود ، لكن ترومان لم يلبث أن أصبح من أشد الساسة تجيزا للحركة الصهيونية ، وبدأت بعد الحرب العالمية الثانية سياسة أميركية جديدة أساسها التحيز السافر للمطالب الصهيونية دون اعتبار للمصالح العربية .

حادي عشر: اللجنة الإنجليزية الأمريكية ١٩٤٦ م .

استخدمت المنظمات الصهيونية أجهزتها الإرهابية السرية في الضغط على إنجلترا، فعلى يد إرهابيين سقط وزير التموين الإنجليزي اللورد موين سريعا ونسف الإرهابيون الصهيونيون فندق الملك داود في القدس بما فيه من نزلاء في (يوليو ١٩٤٦م)، وأدى ذلك إلى أن تشرك انجلترا الولايات المتحدة معها في إيجاد حل للمشكلة الفلسطينية، فتشكلت لجنة إنجليزية أمريكية في نوفمبر ١٩٤٦م.

وكان مجرد تشكيل هذه اللجنة لصالح الأهداف الصهيونية وصدرت قراراتها على النحو التالي :

١- فلسطين ستكون دولة يهودية.

٢- فتح باب الهجرة اليهودية.

٣- حرية انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود.

وحاولت الحكومة البريطانية عن طريق عقد مؤتمر في لندن الوصول إلى حل ما، إلا أن الصهيونيين رفضوا حضوره إلا إذا وافقت بريطانيا على قيام دولة يهودية في فلسطين وحضره العرب وكشفوا فقط عن مخطط إبادة اليهود العرب فلسطين، ولما انتهى المؤتمر على هذا النحو أعلنت بريطانيا نفض يدها من المشكلة ووضعها بين يدى هيئة الأمم المتحدة.

سمات السياسة الأميركية تجاه القضية خلال الحرب :

من خلال ما تم ذكره يتضح أن أهم السمات التي تميزت بها السياسة الأميركية تجاه المسألة الفلسطينية خلال الحرب العالمية الثانية :

أولا : أنه يكن هناك خط واضح لسياسة الولايات المتحدة الأميركية تجاه المسألة الفلسطينية أو اتجاه الحل النهائي لها ، ويبدو أن روزفلت كان يعتقد بامكان التوصل إلى حل وسط أو تسوية للموقف فلسطين ، فقد أخبر الرئيس روزفلت الدكتور وايز مان عام ١٩٤٢ أنه تواق إلى تسوية المسألة الفلسطينية ، كما عبر لونستون تشرشل في مالطة عام عن١٩٤٥ رغبته في احلال السلام في فلسطين بين العرب واليهود .

ولقد كان الرئيس الأميركي روزفلت متعاطفا مع سياسة الوطن الوطن القومي اليهودي ، لكنه كان في نفس الوقت حريصا على عدم العرب أو اجبارهم على قبول

تسوية يرفضونها ومن هنا كان اهتمامه بدراسة الأفكار المختلفة للقضية ومحاولة احداث توازن مقبول بينها.

ثانيا : أن الولايات المتحدة الأميركية كانت حريصة على عدم اتخاذ أي موقف رسمي من المسألة الفلسطينية حتى انتهاء الحرب حفاظا على المصالح الأميركية في العالم العربي وتجنبا لدعايات النازي ضد الحلفاء، لكن ذلك لا يمنع من اصدار تصريح من الرئيس الأميركي مؤيد للقضية الصهيونية.

ثالثا : أنه كان هناك تباين كبير في وجهات النظر بين موقف الدوائر الحكومية الرسمية مثل وزارة الخارجية الأميركية التي كان لها خبرة مباشرة مع الشرق العربي وبين موقف الرأى العام الأميركي الذي كان متأثرا بالدعاية الصهيونية بشكل دائم .

رابعا : أن الحركة الصهيونية استطاعت خلال تلك المرحلة أن تكتل جهود معظم اليهود في الولايات المتحدة الأميركية لحساب العمل الصهيوني في فلسطين ، وعن طريق يهود الولايات المتحدة تمكنت الحركة الصهيونية من الوصول إلى الرأى العام الأميركي.

خامسا : أنه حدث خلط مقصود وربط متعمد بين حل مشكلة اللاجئين اليهود في أوروبا وبين القضية الفلسطينية ، ولم يبذل الغرب أية محاولة لحل هذه المشكلة بعيدا عن فلسطين ، فقد كانت مشكلة اللاجئين اليهود في أوروبا فرصة ذهبية أحسن الاستعماريون والصهيونيون استثمارها بهدف الاسراع في بناء الدولة الصهيونية في فلسطين.

الفصل الخامس

حرب ١٩٤٨

حرب فلسطين ١٩٤٨م

الأسباب:

بتاريخ ٩ فبراير ١٩٤٧ عقد مؤتمر لندن بين المندوبين العرب واليهود والبريطانيين، ورفض كل من العرب واليهود مقترحات بيفان البريطانية واستناداً إلى ذلك ، وبتاريخ ١٨ فبراير ١٩٤٧ أعلن بيفان تسليم القضية الفلسطينية إلى الأمم المتحدة .

كان مجلس جامعة الدول العربية المنعقد في بلودان قد قرر أيضاً أنه إذا لم يتفق مع بريطانيا فسوف يرفع القضية إلى الأمم المتحدة، وكان ذلك متفقاً مع توجيهات بريطانيا إلى مجلس الجامعة بواسطة مندوبيها كلايتون .

وفي ٢٨ ابريل ١٩٤٧ عقدت الأمم المتحدة جلسة في مقرها في ليك ساكسيس ، بناء على طلب بريطانيا، وقد صاحب ذلك حملة صحفية أمريكية تؤيد مطالب الصهيونية وتهاجم وفد عرب فلسطين .

واستمعت هيئة الأمم المتحدة إلى بن غوريون، رئيس الوكالة اليهودية، وإلى واينر ممثل يهود أمريكا، وقد طالب الاثنان بإعلان قيام دولة يهودية في فلسطين وانتهت مناقشات اللجنة السياسية إلى قرار بتأليف لجنة للتحقيق في قضية فلسطين تشترك في عضويتها إحدى عشرة دولة .

وفيما بعد اقترحت أكثرية هذه اللجنة تقسيم فلسطين إلى دولة يهودية، ودولة عربية، وتدويل القدس، بحيث تقوم الدولة اليهودية على ٥٦,٤٧ بالمائة من مجموع أراضي فلسطين، يملك العرب فيها رسميا ٣.٦ ملايين دونم، بينما

يملك اليهود منها ١.٤ مليون دونم، وتشتمل هذه المنطقة المخصصة للدولة اليهودية على ٢٧٣ مدينة وقرية عربية يقيم فيها ٤٦٠ الف عربي، أما الدولة العربية فتقوم على ٤٢,٨٨ بالمائة من أراضي فلسطين، وتكون منطقة القدس دولية تقوم على ٠,٦٥ بالمائة .

وفي ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ جرى التصويت في الأمم المتحدة، ففاز الاقتراح بأغلبية ٣٣ صوتا وامتناع عشرة أصوات ، ومن المعروف أن الولايات المتحدة الأمريكية بذلت جهوداً مكثفة في الضغط على عدد من الدول لحملها على التصويت إلى جانب التقسيم ، وخصوصاً مندوبي هايتي وليبريا وسيام، ولولا تحولها من الرفض إلى الموافقة لفشل اقتراح التقسيم.

أعلنت حكومة بريطانيا أنها ستنسحب من فلسطين في ميعاد غايته مايو ١٩٤٨م.

كانت كل هذه التطورات لصالح اليهود حيث كان لديهم القوات المدربة والأموال الكثيرة والدعم الدولي وعلى رأسه كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.

رد الفعل العربي على قرار التقسيم:

كان شعب فلسطين العربي قد رفض التقسيم وإقامة دولة يهودية على أرضه منذ عام ١٩٣٧، ومنذ ذلك الوقت لم يحدث ما يحمله على تغيير موقفه، بل على العكس من ذلك، فقد اتضحت له أخطار الحركة الصهيونية أكثر وأكثر، وأصبح واضحاً أن الصهاينة إذا ما أتيح لهم اقامة دولة على بقعة من أرض فلسطين فإنهم سيطردون أهلها العرب، وكان عدد العرب القاطنين في القسم

المخصص للدولة اليهودية بحسب قرار التقسيم لعام ١٩٤٧ ،٤٦٠ ألف عربي، وكان وايزمان نفسه قد أعلن عن رغبته في ترحيلهم ، كما أن اليهود سيتخذون من الدولة اليهودية رأس جسر لعملياتهم، فيتقلون إليها آلافاً مؤلفة من المهاجرين والمقاتلين، وسيجلبون أقصى ما يستطيعون من آلات الحرب والدمار لكي يتوسعوا على حساب عرب فلسطين، بل وعلى حساب الأقطار العربية المجاورة .

أعلن عرب فلسطين الاضراب العام لمدة ثلاثة أيام ابتداء من ٢ ديسمبر ١٩٤٧ للاعراب عن رفض قرار التقسيم والاحتجاج على صدوره. ووقعت أثناء الاضراب اشتباكات بين العرب واليهود قتل فيها ٨ من اليهود، و ٦ من العرب.

وفي اجتماع لجامعة الدول العربية عقد في ٨ – ١٧ ديسمبر ١٩٤٧ في القاهرة، أعلنت البلدان العربية أن قرار التقسيم غير قانوني، وقررت تشكيل لجنة عسكرية رصد لها مبلغ مليون جنيه و ١٠٠٠٠ بندقية و ٣٠٠٠ متطوع، بمن فيهم ٥٠٠ فلسطيني، وفي الأول من يناير ١٩٤٨ بدأت اللجنة العسكرية لفلسطين بتشكيل جيش الانقاذ بقيادة فوزي القاوقجي وقد دخل فوزي القاوقجي فلسطين في ٥ مارس ١٩٤٨، ويؤسفنا أن نقول إن الحكومات العربية التي كانت خاضعة للنفوذ البريطاني ولا تستطيع مخالفة الخطط البريطانية، لم تكن صادقة في رفضها لقرار التقسيم، وإنما أعلنت رفضها للاستهلاك المحلي؛ لأنها لم تكن قادرة على مواجهة الرأي العام الشعبي العربي الرافض فعلا للتقسيم وقيام دولة يهودية صهيونية على أرضه .

وهناك الكثير من الأدلة على أن الحكومات العربية كانت بشكل عام موافقة على التقسيم بصورة غير رسمية، ومتفاهمة على ذلك مع بريطانيا، ولذلك

لم تتحرك المقاومة ضد التقسيم بل عملت على تنقيله بالتنسيق مع بريطانيا، ولذلك:

١ – عقدت جامعة الدول العربية اتفاقاً سرياً مع بريطانيا سمح بموجبه لجيش الانقاذ بدخول فلسطين والتمركز في الأراضي المخصصة للعرب بموجب التقسيم، على ألا يقوم بأي نشاط عسكري في القسم المخصص للدولة اليهودية ، وحتى لو كان هذا العمل العسكري لمنع اليهود من ذبح الفلسطينيين في حيفا مثلا أو طردهم .

٢ – كان تشكيل جيش الانقاذ في حد ذاته يرمي إلى استيعاب الشباب الفلسطيني والعربي المتحمس للقتال، وعسكرتهم والسيطرة عليهم بالضبط والربط العسكري، وتحريكهم أو تجميد حركتهم وفقا لمقتضيات تنفيذ التقسيم، حكمهم في ذلك كحكم الجيوش العربية النظامية التي كانت مرغمة على الالتزام بقرارات حكوماتها، وقد أدى ذلك في بعض الحالات، ولو على نطاق ضيق، إلى التسيب وفرار بعض جنود جيش الانقاذ وضباطه، وانضمامهم إلى القوات الفلسطينية كجيش الجهاد المقدس .

٣ – جرت مفاوضات بين ممثلين عن حكومة شرق الأردن وبريطانيا لضم القسم المخصص للعرب من فلسطين بموجب التقسيم إلى أمارة شرقي الأردن .

٤ –جرت مفاوضات بين الجنرال غلوب والهاغاناه في شهر فبراير ١٩٤٨، واتفق على ألا يجري قتال بين الجيش العربي الأردني والهاغاناه عندما

يدخل الجيش العربي الأردني فلسطين بعد ١٥ مايو ١٩٤٨، واشترطت الهاغاناه كذلك ألا يدخل الجيش العربي الأردني إلى القدس .

٥ – كان الجيش العراقي الذي غادر العراق ليقاتل في فلسطين مؤلفاً من فرقتين ومجموعتي ألوية، أي حوالي ٣٠ ألف جندي ، وكان هذا الجيش أكبر الجيوش العربية عدداً وأحسنها تدريباً، ومع ذلك واستنادا إلى عدة مراجع، فإن هذا الجيش بقي حتى ٢٠ مايو ١٩٤٨، أي بعد انسحاب الجيش البريطاني من فلسطين بخمسة أيام، شرقي نهر الأردن ، ولم يعبر أي جندي منه إلى فلسطين، وكان يسير ببطء شديد، حتى أنه عندما توقف القتال في نهاية الشهر الأول، وهو الشهر الحاسم الذي تم فيه قتال عسكري ، لم يكن عدد الجيش العراقي داخل فلسطين يزيد على لواء واحد، أما بقية الجيش فكان معسكراً في موقع الاتش فور (H–4) والمفرق وأريد والغور، وأما تعليمات قادته فكانت تماماً كتعليمات قادة الجيش الأردن.

ورد في كتاب مذكرات جندي من تأليف الضابط الأردني صالح الشرع عن أحداث ١٤ مايو ١٩٤٨ ما يلي: «عقد غلوب باشا اجتماعاً حضره قادة الفرقة وقادة الألوية وضباط يوم الأركان وقادة الكتائب واعطى له تعليماته، وقال (أي غلوب) إنه من المفروض أن تتمركز الجيوش العربية في المناطق التي خصصت للعرب في مشروع تقسيم فلسطين الذي أصدرته الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ ، وأن تحافظ هذه القوات على الأمن والنظام، وادارة هذه المناطق وحمايتها من أي اعتداء لحين ايجاد حل ملزم للطرفين العرب واليهود، تفرضه الأمم المتحدة على أساس التقسيم المقترح، وربما على أساس الأمر الواقع». ويضيف صالح الشرع قائلا «كان بجانبي الزميلان محمود الروسان ومعن أبو

نوار، فقلت لها: يتضح أن القضية قضية تقسيم وليست قضية حرب، وما عليكها إلا أن تحملا وحبالا، للتقسيم، فقد جرت العادة في قرى الأردن أن يقسم المزارعون الأرض بينهم بالحبال» .

ومن الاتصاف أن نقول إن جنود الجيوش العربية وضباطها كانوا على استعداد للقتال والاستشهاد، ولكن أوامر القيادات السياسية وكبار القادة العسكرين شلت قواهم ، كما كانت كميات الاسلحة والذخائر التي خصصتها جامعة الدول العربية للمقاتلين الفلسطينيين كانت قليلة جداً وقديمة، ومعظمها غير صالح للاستعمال.. ونستطيع أن نقول بكل ألم إن السلاح قد منع عن الشعب الفلسطيني وقوات الجهاد المقدس الفلسطينية، خوفاً من أن يعرقل قرار التقسيم .

في تلك الأثناء تدفقت على فلسطين العناصر العسكرية اليهودية التي كانت تقاتل خلال الحرب وكانوا على خبرة عالية عسكرية، بينما كانت قوات عرب فلسطين بدائية التشكيل.

وقد قامت القوات الصهيونية بعمليات إرهابية مثل مذبحة دير ياسين للنساء والأطفال حتى تثير الذعر بين الفلسطينيين، وفعلاً خرجت جموع الشعب الفلسطيني مذعورة من بلادها على أمل العودة مع الجيوش العربية التي كانت تستعد للدخول إلى فلسطين لإعادة الأمن والسكينة والحق إلى تلك البلاد المنكوبة.

الأحداث:

(*) الاستعداد العسكري:

كان عرب فلسطين في الأربعينات قد لمسوا وشاهدوا الاستعدادات العسكرية التي كان الصهاينة يعدونها ، وتأكد لديهم أن هذا النشاط العسكري الواسع سيتجه قريبا إلى صدور العرب بعد أن يسلم الانكليز للصهاينة بما يريدون.

ولذلك، وقبل صدور قرار التقسيم بدأ عرب فلسطين يستعدون ضمن امكاناتهم المتواضعة لمواجهة الخطر العسكري الصهيوني، آخذين بعين الاعتبار أن جيوش البلدان العربية ستقف إلى جانبهم، ولهذا نشطت الهيئة العربية العليا برئاسة أمين الحسيني – الذي كان يقيم بالقاهرة – للاتصال بالعرب شعوباً وحكومات لتنبههم إلى الخطر الصهيوني، واستثارة هممهم .

منذ أوائل عام ١٩٤٧ نشط القائد عبد القادر الحسيني الذي يقيم بالقاهرة أيضاً لشراء السلاح والذخائر والمتفجرات من البدو القاطنين في صحراء مصر الغربية وفي ليبيا، وتخزينها في القاهرة وضواحيها سراً، رغم القيود التي كانت تكيل يديه وأيدي رجاله من قلة الأموال، وإجراءات رجال الأمن، ونفوذ البريطانيين، ولكن المؤسف أن الكثير من هذه الأسلحة والذخائر التي اشتريت من تخلفات الحرب العالمية الثانية كان فاسداً ، وغير صالح للاستعمال.

وفي الوقت نفسه أجرى عبد القادر الحسيني الصالات مع المجاهدين الذين يعرفهم من عملوا السلاح ونهضوا للجهاد منذ عام ١٩٣٦، ليعيد تنظيمهم وليشكل قوة فلسطينية مسلحة سميت «جيش الجهاد المقدس»، وعمل على غعادة تنظيم المجاهدين في مدينة القدس، وما يتعلق بذلك من التجنيد، وتهريب

الأسلحة والذخائر، واخفائها، واختيار قادة الأحياء، والاتفاق على ما سيرسل إلى كل حي من أحياء القدس من السلاح والذخيرة .

كان في القدس تنظيم سري مسلح صغير باسم «تنظيم الحرية»، وتقرر أن المجاهد ابراهيم أبو دية، سيتولى الاشراف على عمليات تهريب السلاح من مصر إلى فلسطين، وأجرى اتصالات مع قادة المجاهدين، وبخاصة في يافا، وحيفا، وطبريا ،وكانت هذه المدن، إضافة إلى القدس، أكثر المدن الفلسطينية احتمالا للتعرض للخطر الصهيوني العسكري

(*) الاستعداد الشعبي:

كان شعب فلسطين يشعر بالخطر الشديد ، ولذلك بدأ منذ أوائل عام ١٩٤٧ بتنظيم صفوفه، فشكلت فرق النجادة شبه العسكرية، وفيها بعد شكلت فرق الفتوة، ومع أنه لم يتح لهذه الفرق أكثر مما يتاح لفرق الكشاف المتجول، إلا أن أفرادها كانوا يعتبرون أنفسهم مجندين وعلى استعداد لحمل السلاح عند نشوب القتال أو مجرد وصوله إلى أيديهم ، وعاد إلى فلسطين عدد من قادة الحزب العربي الفلسطيني، أخص منهم بالذكر جمال الحسيني وأميل الغوري ، فعملوا على اعادة تنظيم هذا الحزب، وإثارة الهمم للتهيؤ للخطر المقبل.

وعندما صدر قرار التقسيم في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ أعلن في فلسطين اضراب عام لمدة ثلاثة أيام ابتداء من ٢ ديسمبر ١٩٤٧، وجرت تظاهرات كبيرة، ووقعت اشتباكات، وتحرك الشعب بشكل فوري لتنظيم صفوفه على غرار ما قام به في ثورة عام ١٩٣٦. فاجتمع رجال كل حي واختاروا من بينهم لجنة

شعبية وزعت الواجبات على أعضائها من الشؤون العسكرية، والتسليح ، والاسعاف، وجمع التبرعات .

وفي الوقت نفسه سمع الشعب الفلسطيني خطبة رنانة ووعوداً خلابة من المسؤولين العرب، فتوهم أن الجيوش الجرارة بمدافعها ودباباتها زاحفة لنجدته، فاستولى التواكل على قسم منه وبخاصة الأغنياء والوجهاء.

وفي أوائل يناير ١٩٤٨ دخل عبد القادر الحسيني فلسطين سراً قادماً من مصر لتولي قيادة جيش الجهاد المقدس ومقاومة التقسيم وذلك بعد غيابه عن القدس حوالي ١٠ سنوات، وبعد أن عارضت اللجنة العسكرية لفلسطين عودته بشدة، ثم وافقت على ذلك كما عاد الشيخ حسن سلامة قادماً من سوريا، وعاد إلى فلسطين عدد من قادة النضال المعروفين .

(*) الصهاينة يستعدون ويمهدون لإقامة الدولة:

في اليوم التالي لصدور قرار التقسيم عام ١٩٤٧، ٣٠ نوفمبر، دعت قوات الهاغاناه جميع يهود فلسطين من سن ١٧ إلى ٢٥ للالتحاق في الخدمة، وخلال شهر ديسمبر ١٩٤٧ قام اليهود بما يلي:

١ – عقدت الهاغاناه مع مصانع سكودا في تشيكوسلوفاكيا اتفاقاً لتزويدها بالأسلحة.

٢ – اعتمدت الهاغاناه خطة «جيجل، أي السلسلة الرامية إلى شن سلسلة هجيات لزعزعة عرب فلسطين وحملهم على الرحيل واحتلال المواقع الاستراتيجية .

٣ – قررت الوكالة اليهودية جمع ٢٥٠ مليون دولار من يهود أمريكا للمجهود الصهيوني في فلسطين .

٤– أعلنت الأرغون أنها أجرت مباحثات مع الهاغاناه من أجل إقامة جبهة موحدة . وفي شهر يناير ١٩٤٨ عقدت الهاغاناه صفقة لشراء أسلحة بمبلغ ٢٨٠,٠٠٠ ١٢٠ دولار. وقد وصل أكثر من نصف هذه الصفقة قبل انتهاء الانتداب .

وفي ١٤ فبراير ١٩٤٨ أمر بن غوريون، قائد الهاغاناه في القدس بالهجوم على مدينة القدس وضواحيها، ووصل في هذا الشهر ٢٨٠ متطوعاً محترفاً على ظهر الباخرة واند ببندانس، بصفة مهاجرين.

وفي ١٧ مارس ١٩٤٨ استقبل ترومان حاييم وايزمان سراً، ووعده أنه سيعلن عن اعتراف الولايات المتحدة الأمريكية بقيام دولة اسرائيل في مايو ١٩٤٨ فور الاعلان اليهودي لقيام الدولة.

وخلال أحداث الحرب لوحظ الآتي:

١ . لم تكن الامكانات والاستعدادات العسكرية متكافئة بين عرب فلسطين واليهود، ولم يتمكن الفلسطينيون أو الحكومات العربية من عقد صفقات من السلاح ذات قيمة .

٢ . لم تكن الحكومات العربية جادة في حربها مع اليهود على الرغم من حماسة الجنود العرب واستعدادهم للتضحية .

٣. على الرغم من أن قوات اليهود المسلحة كانت كبيرة وأسلحتها متوافرة فقد كانت تنقصها الثقة بالنفس، وكان بامكان العرب التغلب عليها عسكريا لو كانوا جادين في الحرب.

٤ – لم يكن عرب فلسطين بعد صدور قرار التقسيم يريدون الاشتباك مع اليهود فوراً، بانتظار وصول الامدادات من السلاح والعتاد، والتقصير الفترة الباقية لمشاركة الجيوش العربية، ولكن اليهود الذين عرفوا هذه الحقيقة بادروا إلى الاشتباك مع العرب فوراً بشن هجات واسعة على الضواحي والقرى، لكي يحققوا أكبر قدر من المكاسب العسكرية قبل دخول الجيوش العربية، وقد ساعد الانكليز اليهود في الاسراع بمجر العرب إلى القتال بوسائل مختلفة .

مع ذلك، فإن المعارك التي دارت بين الفلسطينيين واليهود قبل دخول الجيوش العربية كان التفوق فيها لعرب فلسطين إلى ما قبل انتهاء الانتداب بشهر واحد، الأمر الذي جعل الرئيس ترومان يضطرب ويحاول في ١٥ مارس ١٩٤٨ عقد هدنة فورية بين العرب واليهود، ويقترح حلا غير التقسيم، وهو الوصاية، وقد كرر هذه المحاولة عن طريق مجلس الأمن، ولكن اليهود رفضوا ذلك وطمأنوه إلى أنهم قادرون على الانتصار.

عندما شعر اليهود يفشل خطتهم التي كانت تستهدف حمل العرب على الرحيل، لجاوا إلى الارهاب وارتكاب المذابح الهمجية بين المدنيين لايقاع الرعب، ومن ذلك مذابح دير ياسين وناصر الدين وغيرهما.

لعب الانكليز دوراً أساسياً في مساعدة اليهود في حربهم وخططهم ضد العرب بوسائل وطرق متعددة منها :

١ . المبادرة الفورية لنجدة كل مستعمرة يهودية أو وحدة مقاتلة يهودية تتعرض للهجوم أو الحصار وتوشك أن تنهزم أمام العرب، وهناك عشرات الأمثلة على ذلك. وفي الوقت نفسه لم تكن القوات البريطانية تمنع اليهود من احتلال أي قرية، أو حي، أو مدينة عربية .

٢ . اعطاء اليهود عند انتهاء الانتداب كميات كبيرة من السلاح، والعتاد، والسيارات، وفولاذ المصفحات، وحتى الطائرات، والدبابات، والمدافع، والمصفحات.

٣- مساعدتهم على احتلال عدد من المدن العربية الرئيسية واجلاء العرب عنها قبل انتهاء الانتداب، ومنها حيفا، وصفد، وطبريا، ويافا، وعدد كبير من القرى.

٤- بدأ الانجليز بالجلاء من المناطق اليهودية قبل انتهاء الانتداب وتسليمها إلى الهيئات والسلطات اليهودية بما فيها من منشآت عسكرية مثل المطارات ومستودعات الذخيرة والمعسكرات .

عندما كانت آخر القوات الانجليزية تغادر فلسطين أعلن قيام دولة إسرائيل واعترفت بها كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وغيرهما من معظم دول العالم.

أصدرت جامعة الدول العربية قرارها بدخول الجيوش العربية الحرب لإعادة السكينة والأمن إلى فلسطين التي تجري على أرضها دماء العرب، وقد دخلت القوات المصرية والأردنية والعراقية والسورية، ولكنها كانت غير مدربة وغير مستعدة وغير متحدة الفكر أو الخطة.

لم تجر معارك عسكرية بالمعنى العسكري المعروف، بين القوات الصهيونية والجيوش العربية بعد دخولها فلسطين، باستثناء الجيش المصري، إلا في حالات قليلة ومحدودة .

بعد دخول الجيوش العربية إلى فلسطين استولى اليهود بوسائل مختلفة على مساحات واسعة من الأراضي الفلسطينية لم تكن القصاصة لهم في قرار التقسيم .

النتائج:

هزيمة القوات العربية واستولت القوات الإسرائيلية ليس فقط على الأجزاء التي خصصتها الأمم المتحدة بمقتضى قرار التقسيم لليهود ولكن أكثر منها بكثير.

تحصي بعض المراجع التاريخية العربية خسائر العرب في حرب ١٩٤٧/١٩٤٩، بـ ٣٥٠٠ شهيد وجريح من كل الجيوش والمدنيين العرب، و١٣٠٠٠ شهيد وجريح من عرب فلسطين. ونتيجة لهذه الحرب واتفاقات الهدنة الدائمة التي تلتها سيطر اليهود على ٧٧.٤ بالمائة من مساحة فلسطين، بينما كان المخصص لهم بموجب قرار التقسيم ٥١,٤٧ بالمائة. وكان عدد الذين أخرجوا من فلسطين في هذه الحرب ١٧٥ . ٢٠٠ ألف، وعدد الذين أخرجوا منها إثر حرب يونيو ١٩٦٧ من الضفة الغربية وقطاع غزة ٤١٠ آلاف .

حاول الفلسطينيون اقامة حكومة فلسطينية برئاسة أمين الحسين سميت حكومة عموم فلسطين، اتخذت من مدينة غزة مقراً لها، على أساس أن لها السيادة على جميع فلسطين بعد تحريرها، ولكن هذه الحكومة لم تستطع أن

تصمد في غزة أو أن تحرر ما احتل من فلسطين، وانتقلت إلى القاهرة حيث تضاءلت وانتهت.

أما اليهود فقد أقاموا دولتهم واعترفت بها أمريكا فوراً، كما اعترف بها الاتحاد السوفياتي ومعظم دول العالم.

اضطرت دول المواجهة (مصر – الأردن – سوريا – لبنان) إلى عقد اتفاقيات الهدنة (هدنة رودس) ١٩٤٩م، وأعلنت الولايات المتحدة وفرنسا وانجلترا في ١٩٥٠م ضمان هذه الحدود الجديدة لإسرائيل.

عوامل هزيمة الجيوش العربية في حرب ١٩٤٨م:

هزمت الجيوش العربية في حرب ١٩٤٨م، وانتصر اليهود وأقيمت دولة إسرائيل، وحلت النكبة بفلسطين وشعبها، بسبب مجموعة من العوامل الدولية والإقليمية والمحلية ، فعلى الصعيد الدولي كان هناك صراع نفوذ وسيطرة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، أدى إلى بسط الولايات المتحدة الحليف الاستراتيجي لليهود وللصهيونية نفوذها السياسي والاقتصادي على الوطن العربي لتحل محل الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية.

أما على الصعيد الإقليمي فإن وقوع البلاد العربية تحت الهيمنة الأجنبية بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر لم يمكنها من الدفاع بصورة حقيقية عن فلسطين فكانت المساندة العربية لفلسطين مساندة صورية شكلية دون جوهر حقيقي.

أما على الصعيد الفلسطيني فقد كانت القيادات المحلية غير متجذرة في أوساط الشعب الفلسطينية لاسيما إنها كانت قيادات وزعامات ووجاهات قبلية

عشائرية متصارعة ومتناحرة، كما سادت حالة من الانقسام والتمزق بين قيادة الهيئة العربية العليا والأحزاب السياسية الفلسطينية، بالإضافة إلى بروز خلافات عميقة بين الهيئة العربية العليا والحكام العرب بسبب القرار الرسمي العربي بالتفرد بخوض الحرب غير المتكافئة ضد المنظمات الصهيونية واستبعاد جيش الجهاد المقدس الفلسطيني من المشاركة الفاعلة في خوض غمار هذه الحرب، وينضم إلى هذه الأسباب أسباب أخرى منها غياب القيادة العسكرية العربية الرسمية الموحدة، مما أدى إلى فقدان الخطة العسكرية الواحدة، وفي المقابل نفذت القوات الصهيونية خطة متكاملة تضمنت شن هجوم كبير على المدن والقرى العربية وتدميرها، وارتكاب مجازر دامية بحق السكان الفلسطينيين، صاحبها دعاية تخويفية مؤثرة، أدت إلى تهجير مئات الآلاف من مدنهم وقراهم الأصلية؛ كذلك سيطرة المنظمات اليهودية على أجزاء كبيرة من فلسطين قبل انتهاء الانتداب البريطاني تنفيذاً للخطة القاضية باحتلال المدن والقرى العربية وترحيل سكانها باستخدام أي طريقة؛ أيضاً لم تكن هناك منظمات فلسطينية مسلحة تعمل على تعبئة الشباب الفلسطيني وتدريبهم كما هو الحال لدى اليهود.

وقد لعبت السياسة البريطانية الصارمة ضد العرب في فلسطين منذ عام ١٩١٧م، حتى عام ١٩٤٨، دوراً محورياً في وقوع الهزيمة، فلم يتمكن شعب فلسطين بسبب هذه السياسة الظالمة المنحازة من إدخال السلاح أو التدرب عليه ؛ أيضاً الإعداد الصهيوني الجيد للحرب من عدد وعدة وعتاد حيث بلغ عدد جنود الهاغاناة أكثر من سبعين ألف مقاتل مدربين تدريباً جيداً ومزودين بأحدث أنواع الأسلحة، ورثوا كميات كبيرة من الأسلحة من قوات الاحتلال البريطاني قبل انسحابها من فلسطين

كذلك دخول عدد قليل من أفراد الجيوش العربية لإنقاذ فلسطين، مزودين بالنذر اليسير من الأسلحة القديمة التي عفا عليها الزمن ،كما إن الإمدادات بين القواطع العسكرية العربية كانت مبتورة ؛ إضافة لتصاعد الخلافات في صفوف القيادة السياسية العربية حول من يقود المعركة العسكرية ،أيضاً انسحاب قوات عربية من عدة مدن ومناطق فلسطينية واسعة قبل وصول قوات الهاغاناة إليها لأسباب سياسية وعسكرية.

إضافة إلى ذلك قصر أمد الحرب والموافقة على الهدن بين العرب واليهود مما ساعد اليهود على النقاط أنفاسهم واستيلائهم على مناطق جديدة أثناء فترات الهدن وجلب السلاح بكميات هائلة وخاصة الأسلحة التشيكية (بدعم من روسيا)، فقوات الهاغاناة لم تكن تقوى على خوض حرب استنزاف طويلة الأمد؛ كما كان للتدخل الأجنبي ودعمه غير المحدود لقوات الهاغاناة اليهودية أثراً بالغاً في هزيمة العرب الذين وقعوا في أحابيل الحيل والمؤامرات الأجنبية الأوروبية والأمريكية والسوفيتية.

النتائج التي تمخضت عنها هزيمة العرب في حرب فلسطين:

حملت هذه الهزيمة معها تبعات مأساوية على عدة أصعدة لازال الفلسطينيون يكابدونها حتى وقتنا الحاضر، وهي أكثر وأعمق من أن تعدد، ولكن يمكن إجمال هذه التبعات بصورة مختصرة، فعلى صعيد الأرض اغتصب الكيان الصهيوني نحو ٧٨٪ من أرض فلسطين التاريخية بعد أن كان قرار الأمم المتحدة الخاص بتقسيم فلسطين لدولتين يهودية وعربية أقر قيام الدولة الصهيونية على مساحة ٥٦٪ من أرض فلسطين، هذا التوسع نجم عن قيام الكيان الغاصب بالاستيلاء على بقية الأراضي الفلسطينية بقوة السلاح؛ أما الأرض المتبقية وهي ٢٢٪ من مساحة

فلسطين التاريخية فقد قسمت إلى قسمين هما الضفة الغربية التي وضعت تحت الحكم الأردني، وقطاع غزة الذي وضع تحت الإدارة المصرية، كما أدى قيام الكيان الصهيوني على الأرض الفلسطينية إلى محو أكثر من(٥٣١ مدينة وقرية) فلسطينية عن وجه الأرض، وترحيل أهلها عنها.

أما على الصعيد المحلي فقد انقسم الفلسطينيون الذين كانوا جسماً متراصاً على أرض فلسطين لثلاثة أقسام فأصبح جزء في المناطق المحتلة (داخل الخط الأخضر)، وقسم في الضفة الغربية وقطاع غزة، ورغم اختلاف السلطتين فيهما إلا أن هؤلاء ظلوا داخل أرض فلسطين، وقسم ثالث نزح إلى الدول العربية المجاورة وبعض دول العالم الأخرى في المنافي والشتات.

أما اليهود فقد أصبح لهم جسم سياسي رسمي هو (دولة إسرائيل) اعترفت به الأمم المتحدة، والدول الكبرى وعلى الأخص الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، وأصبح هذا الجسم السياسي الجديد يتصرف بمطلق الحرية في قضية الهجرة بعد أن احتل أراضي أوسع من الأراضي المقترحة للدولة اليهودية في قرار التقسيم، كما اهتم هذا الجسم بالبناء والتعمير والتسلح، كما أن احتلال الأراضي من ناحية ونزوح أكثر من(٨٠٠ ألف) فلسطيني، خلق واقعاً جديداً تمثل في المطالبة باستعادة الأراضي المحتلة وعودة اللاجئين، ونزعة الدول الاستعمارية لتصفية قضية اللاجئين من خلال تنفيذ المشاريع الرامية لتوطينهم في البلدان التي نزحوا إليها.

أما على الصعيد الدولي فقد غدت المنطقة العربية نظراً لمكانتها الاستراتيجية من أهم مناطق التنازع بين روسيا وأمريكا الدولتين العظمتين الجديدتين في العالم اللتين حلتا بدلا من بريطانيا وفرنسا، كما ارتفعت وتيرة المتغيرات الداخلية في الدول العربية، حيث كثرت الثورات وظهرت حركات التحرر في العالم العربي رغم بقاء

التبعية للقوى الاستعمارية الكبرى في أمور عدة، كما أن خروج قضية فلسطين من يد بريطانيا جعل بإمكان أي دولة أو منظمة عالمية أو حتى شخصية سياسية في العالم طرح مشروع لحل قضية فلسطين، كذلك فإن حرب ١٩٤٨ لم تنجز حلولاً أساسية للصراع العربي الإسرائيلي لأن الدول العظمي فقدت الرؤية الصادقة لتأييد ودعم الموقف العربي، وانحازت بشكل شبه كلي للموقف الصهيوني بسبب سياسات التعليم التي افتعلتها الدعاية الصهيونية، مما أدى إلى ضياع الحقوق الوطنية والقانونية لشعب فلسطين.

الفصل السادس

الجامعة العربية وقضية فلسطين

الجامعة العربية وقضية فلسطين

تأسيس الجامعة العربية :

بدأت في يوليه ١٩٤٣ مشاورات بين الحكومة المصرية والحكومات العربية عرفت باسم مشاورات الوحدة العربية ، فانتهت إلى وضع ميثاق تحضيري في الإسكندرية عرف ببروتوكول الإسكندرية وقعه في ٧ من أكتوبر ١٩٤٤ ممثلو حكومات مصر والعراق والسعودية وسورية ولبنان والأردنية وقد ألحق بالبروتوكول المذكور قرار خاص" بفلسطين ينص على :

« ترى اللجنة أن فلسطين ركن مهم من أركان البلاد العربية ، وأن حقوق العرب لا يمكن أن تمس من غير إضرار بالسلم والاستقرار بالعالم العربي ، كما ترى اللجنة أن التعهدات التي ارتبطت فيها الدولة البريطانية والتي تقضي بوقف الهجرة اليهودية والمحافظة على الأراضي العربية والوصول إلى استقلال فلسطين هي من حقوق العرب الثابتة التي تكون المبادرة إلى تنفيذها خطوة نحو الهدف المطلوب نحو استتباب السلم وتحقيق الاستقرار ، وتعلن اللجنة أنها ليست أقل تألماً أحد لما أصاب اليهود في أوربا من الويلات والآلام على يد بعض الدول الأوربية الدكتاتورية ، ولكن يجب ألا يخلط بين مسألة هؤلاء اليهود وبين الصهيونيين ، إذ ليس أشد ظلماً وعدواناً من أن تحل مسألة يهود أوربا بظلم آخر يقع على عرب فلسطين على اختلاف أديانهم ومذاهبهم » .

ميثاق الجامعة :

وألف مؤتمر الإسكندرية لجنة لوضع دستور الجامعة ، وقد تم وضعه وتوقيعه في القاهرة في ١٢ من مارس ١٩٤٥ ، وبموجبه تألفت جامعة الدول العربية من الدول الموقعة عليه ، مع إعطاء الحق" لكل دولة عربية مستقلة أن تنضم إلى الجامعة ، وقد جعل الميثاق الغرض من جامعة الدول العربية « توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق خططها السياسية تحقيقاً للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها ، والنظر في شؤون البلاد العربية ومصالحها بصفة عامة » .

ومن أغراضها كذلك تعاون الدول المشتركة فيها تعاوناً وثيقاً في الشؤون الاقتصادية والمالية والمواصلات والثقافة والجنسية والجوازات والتأشيرات وتنفيذ الأحكام وتسليم المجرمين والشؤون الاجتماعية والصحية ، وجعلت القاهرة مقرها الدائم ، على أن لمجلس الجامعة أن يجتمع في أي مكان آخر يعينه ، وقد جعل لهذا الميثاق ملحق" خاص بفلسطين ينص على :

« منذ نهاية الحرب العظمى الماضية سقطت عن البلاد العربية. المنسلخة عن الدولة العثمانية ، ومنها فلسطين ، ولاية تلك الدولة وأصبحت مستقلة بنفسها غير تابعة لأية دولة أخرى ، وأعلنت معاهدة لوزان أن أمرها لأصحاب الشأن فيها ، وإذا لم تكن قد مكنت من تولى أمورها فإن ميثاق العصبة في عام ١٩١٩ لم يقرر النظام الذي وضعه لها إلا على أساس الاعتراف باستقلالها ، فوجودها واستقلالها الدولى" من الناحية الشرعية أمر لا شك فيه ، كما أنه لا شك" في استقلال البلاد العربية الأخرى ، وإذا كانت المظاهر الخارجية لذلك الاستقلال ظلت محجوبة لأسباب قاهرة فلا يسوغ أن يكون ذلك حائلاً دون اشتراكها في أعمال مجلس الجامعة ، ولذلك ترى الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية أنه نظراً إلى ظروف

فلسطين الخاصة ، وإلى أن يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلا ، يتولى مجلس الجامعة أمر اختيار مندوب عربي من فلسطين للاشتراك في أعماله » .

وعلى هذا يكون لفلسطين مندوب في مجلس الجامعة وإن لم تكن مستقلة عمليًا ، وقد أصبحت قضية فلسطين الشاغل الأول للجامعة ، وكان أول ما واجهته حين تأسيسها عزم الحكومة البريطانية والأمريكية على نقض الكتاب الأبيض والاستمرار في فتح أبواب الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، فقدمت المذكرات المتعددة ، ووالت الاتصالات مما سيرد ذكره في حينه .

مشروعات الجامعة العربية لإنقاذ الأراضي الفلسطينية:

إن مسألة انتقال الأراضي الفلسطينية من أصحابها الأصليين وهم عرب فلسطين إلى أيدي الصهيونيين ليست قضية جديدة وإنما سبقت قيام الجامعة العربية بأكثر من عقدين من الزمان فبعد صدور وعد بلفور في نوفمبر عام ١٩١٧م وقيام البعثة الصهيونية بزيارة لفلسطين في أواخر عام ١٩١٨م وضعت البذور الأولى للكيان الصهيون وبدأ التخطيط لتملك أراضي واسعة بفلسطين ، وقد نشطت الحركة الصهيونية لدفع العرب أصحاب الملكيات الصغيرة إلى الهجرة نتيجة للعديد من الضغوط التي مارسها هؤلاء الصهيونيين ضدهم حيث ظلت الأرض العربية تتسرب قطعة وراء قطعة إلى أيديهم، ومع بداية الأربعينات من القرن العشرين اشتدت الأزمة مع اشتداد الإرهاب الصهيون محاولة إخراج العرب من بلادهم واقتلاعهم من أرضهم.

من هذا المنطلق كان على الدول العربية أن تتصدى لمسألة إنقاذ الأراضي الفلسطينية حيث كان من أولى الاقتراحات التي قدمت في الاجتماعات التحضيرية

للمؤتمر العربي العام بالإسكندرية والذي سبق قيام الجامعة هو الاقتراح الخاص بمساهمة الحكومات والشعوب العربية في صندوق الأمة العربية لإنقاذ أراضي العرب في فلسطين، وفي ٨ نوفمبر عام ١٩٤٥م عرضت الأمانة العامة على مجلس الجامعة تقرير اللجنة الاقتصادية لمشروع إنقاذ أراضي فلسطين ، وبعد الاختلاف بين الدول الأعضاء تم إعداد مشروع يقضي بتكوين منشأة مالية في فلسطين وتقسم بحسب أغراضها إلى الأقسام التالية :

١- قسم للتسليف العقاري لمساعدة الملاك على تحسين أراضيهم واستصلاحها.
٢- قسم للسليف الزراعي لتمكين المزارعين من شراء الأسمدة والتقاوي والمواشي والآلات الزراعية.
٣- قسم للاستغلال الزراعي والعلمي فتقوم المنشأة بالاستغلال الحديث للأراضي بشراء قطع من الأراضي بأسعار اقتصادية حيثما أمكن ثم بيعها بعد ذلك لصغار المزارعين بشروط ميسرة مع تسهيلات في الدفع ، والعمل على إنشاء مزارع فردية أشبه بمدارس لتعليم أولاد العرب تعليما علميا أصول الزراعة الحديثة.
٤- قسم تشريعي يعمل بالاتصال مع الجامعة العربية على تعديل الضرائب العقارية الزراعية كما يهدف إلى تعديل تشريع ملكية الأراضي وانتقالها؛ مما يحقق الأغراض التي ترمي إليها المنشاة .

ومع ذلك فإن الأمر على أرض الواقع في فلسطين كان يختلف، فلم يكد يمر ثلاثة أيام من عرض تقرير اللجنة السابق حتى ورد للأمانة العامة رسالة في ٣١ مارس ١٩٤٦م من أحمد حلمى رئيس مجلس إدارة صندوق الأمة العربية بفلسطين تتحدث عن أن المطامع الصهيونية بأراضي فلسطين قد تطورت تطوراً خطيراً فبعد

أن كان الصهيونيون يعمدون إلى شراء الأراضي بشتى الحيل والأساليب المخالفة للقوانين والأنظمة إذ هم يستولون بالقوة على بعض أراضي قرية " بيريا " العربية ، ولم تستطع قوات الانتداب البريطانية إخراجهم منها ، وقد عقب الأمين العام على ذلك بتأكيده على أن الأمانة العامة ستقوم ببليغ هذه الشكوى إلى الحكومة البريطانية عن طريق سفارتها في مصر.

وعلى ذلك فقد تقدمت هيئة الخبراء الفنيين التي شكلتها الجامعة بتقرير بشأن الإجراءات اللازمة لتعيد مشروع أراضي فلسطين وذلك في الرابع من إبريل عام ١٩٤٦م ووضعت الخطوات التمهيدية لذلك، وكان من أهمها عقد تأسيس شركة باسم الشركة العربية للتسليف ودورها تسليف وإقراض المزارعين العرب المبالغ التي يحتاجوها لأجل الزراعة ولأجل تحسين أراضيهم وكذلك إنشاء محطات تجارب ومعارض دورية أو دائمة زراعية لتعلم الأهالي العرب أحدث الأصول والنظم الزراعية ، وقد تمت الموافقة على أن يكون مركز الشركة في خارج فلسطين حيث اختيرت مصر لتكون مقرا لها وان يكون بنك مصر هو المشرف على هذا الإنشاء.

وقد تعرض مجلس الجامعة العربية لبحث مشكلة توفير المال لإنقاذ أرض فلسطين بوجه خاص ومساعدة شعبها بوجه عام ، ورغم عدم البت في هذا الأمر فإن اقتراحا بشأن قيام شركة مساهمة لإنقاد أرض فلسطين كان قد تم الحديث حوله في الدورة الخامسة لانعقاد مجلس الجامعة العربية في نوفمبر عام ١٩٤٦م ، حيث تحدث الأمين العام عن ضرورة الإسراع في تأسيس هذه الشركة ، كما تحدث جمال الحسيني مندوب فلسطين مؤكداً على أهمية تأسيا نظراً لحاجة فلسطين القصوى لذلك ، وذلك لمساعدة الفلسطينيين الذين هم في حالة ضيق مالي ولا

يرغبون في بيع أرضـــهم بـل يريدون أن يأخذوا ســلفا عليـها وإذا لم يتم تداركهم فقد تضيع أراضيهم .

وعقب مناقشات عديدة أكد الأمين العام على أن الدول العربية قررت الاكتتاب بربع مليون جنيه كتأسيس للشركة ، وبدأ مجلس الجامعة في اتخاذ خطوات أخرى نحو إخراج هذه الحركة إلى حيز الوجود ، حيث تم توقيع عقد تأسيس الشركة في شهر أكتوبر عام ١٩٤٧م ، وأعلنت الأمانة العامة للجامعة العربية قيام الشركة وتدعى " الشركة العقارية العربية " والتي ساهم فيها كبار رجال الأمة العربية وبنك مصر والبنك العربي وبنك الأمة العربية ، وقد وضحت الأمانة العامة أن غرض الشركة هو إقراض الملاك العرب برهون أطيان زراعية أو عقارات مبنية أو أرض معدة للبناء ، وإقراضهم أيضاً لغرض استعمالها في شراء الأسمدة والبذور بأنواعها ولشراء المواشي والآلات اللازمة للزراعة ، وشراء الأراضي الزراعية والعقارات المبنية والأراضي المعدة للبناء وتستصلحها وتستثمرها لحسابها ثم تتصرف فيها بالبيع للعرب ، وتقديم سلف زراعية للعرب والجمعيات التعاونية العربية بقصد إصلاح الأراضي كما يجور للشركة القيام بكافة الأعمـال المالية التجارية التي تتصل بالأغراض السالفة الذكر.

غير أن هذه الشركة لم تحقق الأهداف المنتظرة منها ، وذلك بـــسبب هزيمة عام ١٩٤٨م وقيام دولة إسرائيل حيث طغت مشكلات من نوع آخر على مسرح الأحداث بالنسبة للقضية الفلسطينية ، وفى عام ١٩٥٣م عرض على مجلس الجامعة مــسألة الأملاك العربية في فلسطين، وأن إسرائيل تتخذ عدة إجراءات مخالفة لإعلان حقوق الإنسان، وتم قبول التوصية التي اقترحتها اللجنة السياسية ومفادها تقدم الدول الأعضاء إلى الأمين العام لهيئة الأمم المتحدة بطلب لإدراج هذه

المسألة على جدول اعمال الجمعية العامة في دورة عـام ١٩٥٣م مع وضع سياسة عربية موحدة للمحافظة على أملاك العرب في فلسطين ، والتي تعتمد على إعلان الدولة العربية عدم ثقتها في إسرائيل كحارس على أموال الغائبين من العرب وضرورة أن يتولى حارس محايد أو هيئة الإدارة الأملاك نيابة عن اللاجئين ، والمطالبة بدفع إيجار الأملاك العربية مع وقف بيع الإسرائيليين هذه الأملاك ، وأن يعوض اللاجئون العرب عن أملاكهم إذا ما رغبوا في عدم العودة ، مع تأليف لجنة تتولى التحقيق في خسارة اللاجئين في الأموال المنقولة مثل محتويات البيوت والمتاجر وغيرها ، لكن إسرائيل ظلت تعمل على سلب أراضي العرب ، وإخراج عرب فلسطين من أرضهم وديارهم .

الجامعة العربية والهجرة اليهودية إلى فلسطين:

على أثر وعد بلفور بتكوين وطن قومي لليهود بفلسطين ، تدفقت الهجرات اليهودية إلى فلسطين وقد زادت هذه الهجرة أثناء الحرب العالمية الثانية وفي أعقاها ، حيث اتجهت الحركة الصهيونية إلى طلب فتح باب الهجرة ، وقد تنبه العرب لذلك ، ففي اجتماع الملك عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية مع الرئيس روزفلت رئيـس الولايات المتحدة الأمريكية في ١٤ فبراير عام ١٩٤٥م طلب الرئيس روزفلت أن يعرف رأى الملك عبدالعزيز بخصوص هجرة اليهود الذين أخرجوا من أوطانهم في أوروبا ، فأكد الملك عبدالعزيز على عودتهم إلى نفس البلاد التي أخرجوا منها ، وأما اليهود الذين دمرت أوطـانهم فيحب أن يتم توطينهم في أراضي الدول الشرقية التي

اضطهدتهم ، كما أكد على أن زيـادة الهجرة اليهودية إلى فلسطين تهدد حياة العرب، وأن العرب يختارون الموت على أن يسلموا أرضهم وبلادهم لليهود .

والحقيقة أن مسألة الهجرة اليهودية كانت قد شغلت مجلس الجامعة العربية ، حيث قامت الجامعة في نوفمبر عام ١٩٤٥م بإرسال مذكرة إلى الحكومة البريطانية والحكومة الأمريكية بالرغبة في عدم اتخاذها أي قرار يتعلق بالهجرة إلى فلسطين أو أي قرار يخص فلسطين دون مشاورة الدول العربية ، ومع ذلك فلم يظهر لهذا القرار أثر واستمرت الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، بل إن بريطانيا بصفتها الدولة المنتدبة على فلسطين أعلن مندوبها السامي بأنه سيدخل جميع المهاجرين غير الشرعيين إلى فلسطين متجاوزاً بذلك وعد حكومته بأنها لن تدخل أي مهاجر إلى فلسطين وبناء على هذا الموقف اقترح جمال الحسيني مندوب فلسطين بالجامعة العربية أن يقرر مجلس الجامعة الاحتجاج على استمرار هذه الهجرة، وأن يتخذ المجلس التدابير اللازمة لمنع هذه الهجرة .

وعلى الرغم من المذكرة العربية التي أرسلت إلى الحكومة البريطانية بخصوص رفض فجرة اليهودية ، والتأكيد على مخالفة هذه الهجرة للعهد الذي قطعته بريطانيا على نفسها في عام ١٩٣٩م ، إلا أن الهجرة كانت قد استمرت ، وبعد أن كان عدد اليهود في عام ١٩١٦م يتجاوز خمسون ألفاً وصل عددهم عام ١٩٤٨م إلى نحو سبعمائة ألف ، وبقيام دولة إسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨م أصبح في الإمكان دخول أي عدد من اليهود المهاجرين ، بل إن إسرائيل سعت لجذب اليهود من أنحاء العالم إليها

الجامعة العربية ومقاطعة اليهود في فلسطين :

ومن أهم ما اتخذته الجامعة في مطلع تأسيسها من مقررات بشأن فلسطين القرار الصادر في ٢ من ديسمبر ١٩٤٥ حول مقاطعة اليهود في فلسطين اقتصاديا ينص على :

١ – إن المنتجات والمصنوعات اليهودية في فلسطين غير مرغوب فيها في البلاد العربية ، وإن إباحة دخولها إلى هذه البلاد مما يؤدى إلى تحقيق الأغراض السياسية الصهيونية ، فإلى أن تتغير هذه الأغراض يقرر مجلس الجامعة أن تتخذ كل دولة من دول الجامعة الإجراءات التي تتناسب وتتفق أصول مع الإدارة والتشريع فيها بمنع هذه المنتجات من دخول بلادها بعد اليوم الأول من يناير عام ١٩٤٦ سواء جاءتها من فلسطين مباشرة أو من طريق آخر .

٢ – يدعو مجلس الجامعة الشعوب العربية غير الممثلة في مجلس الجامعة أن تتضامن وتتعاون مع دول الجامعة في هذا القرار فتمتنع الهيئات والتجار والوسطاء والأفراد فيها عن التعامل والتوزيع والاستهلاك للمنتجات الصهيونية في فلسطين والبلاد العربية .

٣ – تؤلف لجنة من الدول الممثلة في الجامعة للإشراف على التنفيذ . وعملاً بهذا القرار أخذت الحكومات العربية تسن القوانين التي تفرض العقوبات الزجرية على المخالفين.

وقد كانت هذه الخطوة العملية في مقاومة الصهيونية اقتصاديا شديدة الوقع على اليهود حتى إنهم حملوا الحكومة على الاهتمام بالأمر وأصدرت حكومة فلسطين بلاغاً رسميًا في ١١ من يناير ١٩٤٦ قالت فيه إن المندوب السامي يتشاور هو

ووزير المستعمرات في اتخاذ الخطوات تجاه هذا الموقف الذي يهم الدولة المنتدبة المسؤولة عن رفاه الشعوب في فلسطين.

الجامعة العربية تتولى القضية الفلسطينية:

اجتماع صوفر :

على أثر صدور تقرير لجنة التحقيق الدولية أسرعت اللجنة السياسية للجامعة العربية إلى الانعقاد في صوفر في ١٦ من سبتمبر ١٩٤٧ والمذاكرة في ذلك التقرير ودرس محتوياته، ثم اتخذت القرار التالى :

أولا : ترى اللجنة السياسية أن مقترحات لجنة التحقيق تنطوي على إهدار فاضح لحقوق عرب فلسطين الطبيعية في الاستقلال كما تنطوي على خرق لجميع العهود التي قطعت للعرب ولذات المبادئ التي تقوم عليها منظمة الأمم المتحدة ، وهي ترى في تنفيذ هذه المقترحات خطراً محققاً يهدد أمن فلسطين والأمن والسلام في البلاد العربية جمعاء، ولذلك فقد وطدت العزم، تحقيقاً لاستقلال فلسطين وحريتها ودفاعاً ذات كيان الدول العربية، على أن تقاوم بجميع الوسائل العملية الفعالة تنفيذ هذه المقترحات وتنفيذ كل" تدبير آخر لا يحقق استقلال فلسطين عن كدولة عربية .

ثانياً : لقد سبق لحكومات الدول العربية أن حذرت لجنة التحقيق من مغبة التوصية بإقامة دولة يهودية في فلسطين وكاشفتها بما سيؤدي إليه ذلك من اضطرابات تعم الشرق الأوسط بأسره ، وذلك أن عرب فلسطين لن يسلموا بأي تدبير من شأنه أن يقضى على وحدة بلادهم واستقلالهم ، بل حتماً إنهم سيعلنون حرباً لا هوادة فيها لدفع ذلك العدوان عن بلادهم ، ولا سيما أنهم يعرفون أن البلاد العربية جميعاً ستقف من ورائهم تناصرهم وتمدهم بالرجال والمال والعتاد للدفاع عن كيانهم،

وأن الحكومات العربية نفسها لا تستطيع أن تكبت شعور شعوبها الثائرة من جراء الظلم الواقع عليها ، ولا أن تقف مكتوفة الأيدي أمام خطر يهدد البلاد العربية جميعها ، بل إنها ستضطر إلى مباشرة كل عمل حاسم يكون من شأنه أن يدفع العدوان ويعيد الحق إلى نصابه ، ولن يكون مثل هذا الموقف من جانب الشعوب العربية أو حكوماتها أمراً شاذا بعد أن ثبت لديها في مناسبات عديدة أن الصهيونيين يعتمدون في تسلحهم وحركاتهم الإرهابية ونشاطهم الحربي للتنكيل بعرب فلسطين على مساعدة مادية ومعنوية تقدمها لهم بعض تلك الحكومات الأجنبية وبعض الهيئات والمنظمات التي تشجعها تلك الحكومات .

ذلك فضلا عن أن مسألة نزع السلاح من اليهود ومقاومة نشاطهم الإرهابي قد كانت موضع طلبات واحتجاجات متكررة من جانب الحكومات العربية لدى الحكومات الآنفة الذكر ، وذلك من غير أن تكلل هذه المساعي بأية نتيجة حاسمة .

ولذلك ترى اللجنة أن تكاشف الشعوب العربية جميعاً بحقيقة المخاطر التي تحيط بقضية فلسطين ، وأن تدعو كل عربي إلى أن يقدر خطورة هذه المخاطر ، وأن يقدم لفلسطين كل ما في وسعه من معونة وتضحية، وقد اتخذت اللجنة من جانبها من التدابير الفعالة ما يكفل تحقيق الأهداف العربية .

ثالثاً : قررت إرسال مذكرة إلى كل من الولايات المتحدة وبريطانيا تعلنهما بأن كل قرار يتخذ في فلسطين من غير أن ينص على قيام دولة عربية مستقلة فيها يهدد بإثارة اضطرابات خطيرة في الشرق الأوسط ، وأن الدول العربية عازمة على تأييد عرب فلسطين في كل ما يقومون به عندئذ من أعمال في سبيل الدفاع عن عروبة وطنهم وحريتهم واستقلالهم .

وأسرعت كل حكومة عربية في إرسال مذكرة في ذلك على نص واحد من جاء فيها : « بما أن لجنة التحقيق قدمت مقترحات تهدم في مجموعها وفي مفرداتها استقلال فلسطين كدولة عربية فإن عرب فلسطين وأهل البلاد العربية جميعاً يستنكرون هذه المقترحات ويرفضونها من أساسها ويعلنون من الآن أنه ليست هناك سلطة شرعية تملك أن تقتطع جزءاً من فلسطين العربية وتمنحه للصهيونية لتقيم فيه دولة يهودية ، كما يعلنون أنه ليست هناك سلطة شرعية تملك أن : تجيز غز و فلسطين بقوم من اليهود لا صلة لهم بها ولا حق لهم في دخولها» .

ثم قالت المذكرة : « وأن الحكومات العربية لن تستطيع أن تكبت شعور شعوبها الثائرة من جراء الظلم الواقع عليها ، ولا أن تقف مكتوفة الأيدي أمام خطر يهدد البلاد العربية جميعاً ، بل إنها ستضطر إلى مباشرة كل" عمل حاسم يكون شأنه أن يدفع العدوان ويعيد الحق" إلى نصابه ، ولن يكون موقف كهذا من جانب الشعوب العربية أو حكوماتها أمراً شاذا بعد أن ثبت لديها في مناسبات متعددة أن الصهيونيين يعتمدون في تسلحهم وحركاتهم الإرهابية ونشاطهم الحربي للتنكيل بعرب فلسطين على مساعدات مادية ومعنوية تقدمها لهم بعض الحكومات الأجنبية وبعض الهيئات والمنظمات التي تشجعها تلك الحكومات » ، وختمت المذكرة بالعبارة التالية : « وترى الحكومة أن من واجبها أن تبصر حكومتكم بالخطر المحدق فعلا بالأمن والسلم في الشرق الأوسط وتحملها مسؤولية كل ما يمكن أن يتمخض عنه من أحداث إذا ما اتخذ أي قرار من شأنه أن يمس حق فلسطين في أن تكون دولة عربية مستقلة » .

رابعاً : قررت اللجنة أن توصى دول الجامعة بتقديم أقصى ما يمكن من معونة عاجلة إلى أهل فلسطين ، وذلك من مال وعتاد ورجال ، وتأليف لجنة فنية ،

لكل حكومة مندوب فيها ، لتقوم بتعرف حاجات فلسطين و وسائل دفاعها ، وتنظيم وتنسيق المعونة المادية التي يجب على الحكومات تقديمها على أن تقدم تقريرها الفني إلى مجلس الجامعة الذي سينعقد قريباً ، « وتوصى اللجنة دول الجامعة بفتح أبوابها لإيواء الأطفال والنساء والعجزة من عرب فلسطين وأن تقوم بالعناية بهم إذا ما وقعت في فلسطين حوادث تستدعى ذلك» .

موقف اليهود :

هذا هو رد الفعل العربي لتقرير اللجنة الدولية ، أما اليهود فإنه كان مليئاً لديهم بالاغتباط المشوب بالأسف ، وذلك لأن الدولة اليهودية لا تشمل جميع فلسطين ، وقد أخذ اليهود يعبئون قواهم السياسية لتأييد القرار وحمل كثرة أعضاء هيئة الأمم على إقراره مع عدم وقفهم أعمالهم الثورية في فلسطين .

موقف بريطانيا :

أما الإنجليز فقد أسرع وزير مستعمراتهم إلى الإعلان بأن حكومته توافق بلا تحفظ على إنهاء الانتداب وأنها آخذة بتهيئة أسباب خروجها من فلسطين بأسرع وقت ممكن .

اجتماع عاليه :

وانعقد مجلس جامعة الدول العربية في بيروت ، ثم والى اجتماعاته في عاليه من ٧ إلى ١٥ من أكتوبر ١٩٤٧ ، وقد وزع عليه تقرير اللجنة الفنية العسكرية التي قررت اللجنة السياسية تأليفها ، وفيه بحث عما لدى اليهود من منظمات عسكرية

تضم ما لا يقل عن ستين ألف مقاتل وعما لديهم من أسلحة جديدة وعتاد وافر ومعامل للذخيرة ولإصلاح السلاح ، وعن وفرة المدربين والضباط المجربين مع ضآلة سلاح العرب وعدم صلاحه وقدمه وقلة عتاده وندرة المدربين لديهم ، ومدى الخطر الذي يتعرض له العرب في المناطق التي يكتظ فيها اليهود من فتك وقسوة فور جلاء القوات البريطانية من فلسطين ، ثم قدمت تواصيها التي تقضى بحشد الحكومات العربية بعض قطع من جيوشها على حدود فلسطين الشمالية والشرقية والجنوبية والمسارعة إلى تسليح العرب في مناطق اكتظاظ اليهود ليستطيعوا الدفاع عن أنفسهم، والمسارعة إلى تدريب وتنظيم وتجهيز الشباب الذين هم في الخط الثاني ليكونوا قوة الظهر وأن تشكل قيادة عربية عامة ، وبعد المذاكرة قرر مجلس الجامعة بالإجماع :

أولا : مقررات بلودان السرية واجبة التنفيذ في حالة تطبيق أي حل من شأنه أن يمس حق فلسطين في أن تكون دولة عربية مستقلة .

ثانياً : بالنسبة إلى قرار الحكومة البريطانية المعلن أخيراً عزمها على التخلى عن انتدابها على فلسطين وجلائها عنها مع قواتها العسكرية وجهازها الإداري ، ونظراً لوجود القوات الصهيونية ومنظماتها الإرهابية التي تهدد سلامة العرب في فلسطين ، فإن الحالة تستلزم من جانب دول الجامعة العربية اتخاذ احتياطات عسكرية على حدود فلسطين ، ولهذا يوصى المجلس الدول العربية بأن تبادر إلى اتخاذ هذه الاحتياطات العسكرية على أن تيسر الدول المتاخمة لفلسطين سبيل الاشتراك والتعاون في هذا الواجب بالاتفاق بينها .

ثالثاً : يوصى المجلس دول الجامعة بالمبادرة إلى أداء المساعدات المادية والمعنوية إلى العرب في فلسطين لتقويتهم وتعضيدهم في الدفاع عن أنفسهم وعن كيانهم ، وأن ترصد دول الجامعة من فورها الأموال اللازمة لذلك .

وقد تقرر تأليف لجنة فنية عسكرية لتهيئة وتنظيم وسائل الدفاع وتدريب كما تقرر حشد قطع من الجيوش المصرية والسورية واللبنانية والأردنية والعراقية على حدود فلسطين ، واتخذت اللجنة الفنية دمشق مركزاً رئيسيا لها ، وبدأت حركة واسعة النطاق للتطوع في البلاد العربية ، وأنشئ في (قطنا) القريبة من الفلسطينيين وتجنيدهم، دمشق معسكر لتدريب متطوعى البلاد العربية يتولاه ضباط سوريون على حساب الجيش السوري ، وأنشئ فيها كذلك معسكر لتخريج ضباط فلسطينيين ، كما أن الحكومات العربية الأخرى يسرت السبيل للمتطوعين فيها تدريباً وتجهيزاً ، وغلت مراجل الحماسة في فلسطين فهب بنوها يتطوعون ويشترون السلاح والعتاد من كل مكان استطاعوا أن يجدوه فيه .

الخرائط

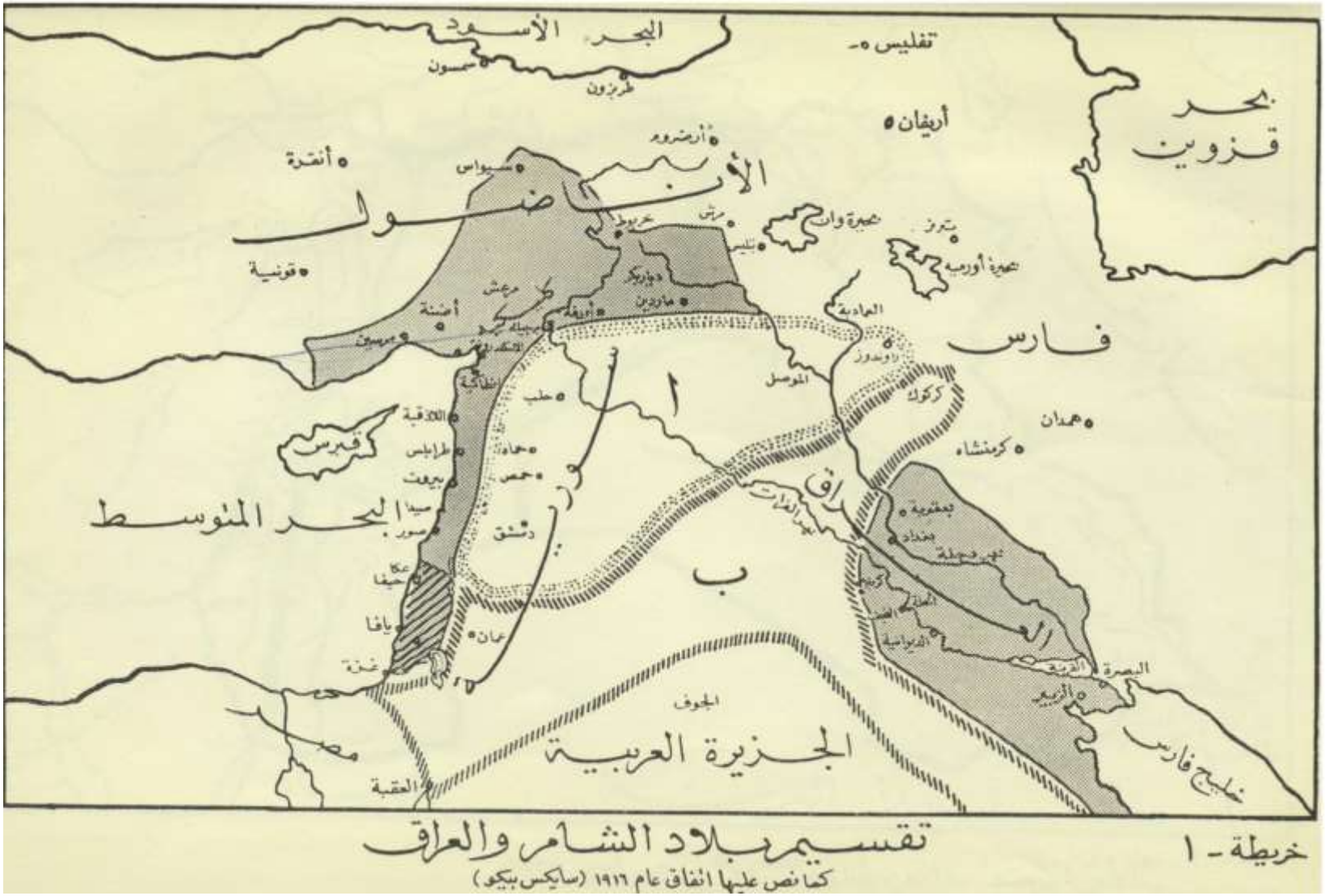

خريطة - ١

تقسيم بلاد الشام والعراق

كما نص عليها اتفاق عام ١٩١٦ (سايكس بيكو)

خريطة مشروع تقسيم فلسطين عام ١٩٣٧م

خريطة تقسيم فلسطين وفقا للأمم المتحدة ١٩٤٧م

فلسطين بعد حرب ١٩٤٨م

قائمة المراجع

قائمة مراجع

- احمد زكريا محمد فرج وآخرون: حرب ١٩٤٨ ونكبتها، مكتبه الايمان، القاهرة، ٢٠١٠م .
- أكرم زعيتر: القضية الفلسطينية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٥م .
- بهجت ابو غربية: صفحات من تاريخ القضية الفلسطينية حتى سنة ١٩٤٩ الرؤية التاريخية وملامح تجربة ذاتية، بحث منشور في كتاب القضية الفلسطينية في أربعين عام بين ضراوة الواقع وطموحات المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٩م .
- سيد محمد عبد العال: تاريخ العرب المعاصر (عهد الاستقلال والوحدة)، جامعه جنوب الوادي، قنا، د.ت .
- عادل حسن غنيم: الحركة الوطنية الفلسطينية " من ثوره ١٩٣٦ حتى الحرب العالمية الثانية"، مكتبه الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠م .
- ـــــــــــــــ: القضية الفلسطينية (دراسة معاصرة لبعض جوانبها)، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٩٨٢م .
- عبد العزيز السيد: الثورة الفلسطينية الكبرى عام ١٩٣٦- ١٩٣٩/ الانتفاضة الفلسطينية عام ١٩٨٧ مقارنة أولية، بحث منشور في كتاب القضية الفلسطينية في أربعين عام بين ضراوة الواقع وطموحات المستقبل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٩م .
- عبد العزيز نوار، عاصم دسوقي وآخرون: تاريخ مصر والعرب الحديث والمعاصر، الادارة المركزية لشئون الكتب، ٢٠١٩/٢٠٢٠م.

- **عبد المنعم ابراهيم الجميعي: مصر والقضية الفلسطينية(دراسة معاصرة لبعض جوانبها)، القاهرة، ٢٠١١ م.**
- **عبد الوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، الاردن، ط١٠، ١٩٩٠م .**
- **محسن محمد صالح: القضية الفلسطينية (خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة)، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، ٢٠١٢م .**
- **محمود عبد الله غزلان: محاضرات في تاريخ العرب الحديث، جامعة عين شمس، القاهرة، ٢٠٢٠م.**